جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء أسرار الفصاحة

الدكتور
فتحي جلال أحمد أحمد
مدرس البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بأسيوطأحمدأحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،،،

فمنذ أن عرف العربي الأدب ــ والشعر في مقدمة فنونه ــ عرف النقد[١]، ومنذ أن عرف النقد عرفت البلاغة ، ولا أدل على ذلك من نقد طرفة للمتلمس أو المسيب بن علس ، والنابغة لحسان ، وأم جندب لامرئ القيس إن صحت الرواية.[٢]

نشأ معاً ، و" نبعا من أصل واحد ، وسارا معاً شوطاً بعيداً في المراحل الأولى من تاريخهما ، ثم أخذ كل منهما بحكم وظيفته يشق لنفسه طريقاً خاصاً، ويكتسب سمات وصفات معينة انتهت بهما إلى الانفصال كعلمين مستقلين .

ولكن هذا الانفصال لا يعني الانقطاع التام بينهما ؛ لأن النقد كان ولا يزال يقوم في بنائه على أسس بلاغية[٣] ، والدليل على ذلك أن هناك كثيراً من الدراسات النقدية تقوم في جوهرها على أسس بلاغية مثل عيار الشعر لابن

---

[١] تراثنا في لنقد الأدبي بين الأصالة والتأثر د / عبد الحميد هلال : ص ٥ مطبعة الأمانة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

[٢] ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / عبد العزيز عتيق ص:٢١ وما بعدها . ن: دار النهضة العربية .

[٣] السابق ص١١ .

طباطبا ، والموازنة للآمدي ، والوساطة للجرجاني . [١]

ولئن تحول النقد إلى بلاغة على يد أبى هلال[٢] ، ومهد لذلك التحول القاضي الجرجاني [٣] فقد بلغ ذروته على يد الإمام عبد القاهر ومعاصره ابن سنان الخفاجي .

ولكن لم اختار البحث ابن سنان ناقداً وامرأ القيس شاعراً ؟ ولم اختار نقد ابن سنان لامرئ القيس خاصة ؟ ولم كان في ضوء أسرار الفصاحة ولم يكن في سرها ؟

ويجاب عن ذلك بما يلي :

أما اختيار ابن سنان ناقدًا فذلك لما يلي :ـ

أولاً : أنه بنى نقده على أسس واضحة من النظم ، فجعل معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها وسيلة لمعرفة نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ، ومعرفة ما يختار منه مما يكره . [٤]

ثانياً : أن ابن سنان لم يسلك المسلك الأدبي في تقرير قاعدته كما هو الحال عند الإمام عبد القاهر ، ولا المسلك العلمي كما هو الشأن عند السكاكي بل عرض أفكاره في أسلوب أدبي علمي رائع . [٥]

---

[١] ينظر: البلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف ص : ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، دار المعارف الطبعة التاسعة .

[٢] ينظر : النقد الهمجي عند العرب د / محمد مندور ٣٢١ ، ٢٦٧ نهضة مصر للطبع والنشر.

[٣] انظر المرجع السابق .

[٤] ينظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص : ١٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

[٥] ينظر : مقدمة الناشر ص : ٨ .

وهذا وإن سبقه إليه أبو هلال العسكري ، ومن قبل عبد الله بن المعتز إلا أنه لم يوجز إيجاز أبى هلال ، ولم يسرد النماذج سرداً دون تحليل أو تعليق كما هو الحال عند صاحب البديع ، بل حلل وعلل وفصل دون إخلال أو إملال .

وأما اختيار إمرئ القيس فذلك لسببين :

الأول : أنه شاعر جاهلي ، وهو ممن يحتج بقوله ويستشهد به ، وهذه وإن كانت سمة قد شاركه فيها غيره من شعراء عصره وبني طبقته إلا أن لكلٍ منهم سمتاً يميزه عن غيره ... والدليل على ذلك أنك تجد المعنى الواحد يتكرر في شعر الشاعر أو في شعر غيره ومع ذلك تجد القصيدة التي هي بوتقة لذلك المعنى كأنها هي وحدها التي قيلت في ذلك الموضع ، وذلك [١] " لأن فيها من الاختلاف في الأبنية والصور والأحوال والتراكيب والأحداث والمعاني ما يجعلها شيئاً مختلفاً تماماً " [٢] ومرجع هذا كما يقول أستاذنا الدكتور أبو موسى ــ أثابه الله ــ : " إلى قوة الطبع وقوة الإحساس والهيمنة التامة على اللغة " . [٣]

الثاني : أن امرأ القيس ــ كما يقول ابن قتيبة : " قد سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء "[٤] ، ومن

---

[١] ينظر : الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء أ . د / أبو موسى ص٢٠ الناشر مكتبة وهبه ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ .

[٢] الشعر الجاهلي د / أبو موسى ص ٢٠ ، ٢١.

[٣] المرجع السابق ص ٢٠ ، ٢١.

[٤] الشعر والشعراء لابن قتيبة تح / أحمد شاكر ١ / ١١٠ ط دار المعارف .

يطالع الشعر والشعراء[١] ، والعمده لابن رشيق[٢] ، بل وسر الفصاحة نفسه في التشبيه المختار والإيجاز المحمود[٣] يجد دليلاً على صدق ما أقول .

أما نقد ابن سنان لامرئ القيس فذلك لأنك تارة تجده ــ أي امرأ القيس ــ قد حاز عنده قصب السبق فيجعل لقوله الصدارة فيما يستشهد به لحسن ما سبق إليه من جانب ولما يترتب عليه من تقرير قاعدته من جانب آخر .

يلحظ هذا في باب الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح . [٤]

وحينا آخر يورد قوله ضمن ما يستشهد ويقدم عليه ما هو لاحق به ومتأخر عنه .

يبدو هذا في عموم حكمه بالقبح على الغريب الوحشي والحُسن على القليل[٥] من الترصيع ، وكأنه يريد أن يقول لنا : إن امرأ القيس رغم تقدمه هو وغيره سواء في الحكم له أو عليه .

وضرب آخر يسلك فيه مسلك الموازنة ليتسنى له الحكم باستحسان قول امرئ القيس على قول الأعشى في الحشو المختار ، والأفضلية على قول الوليد

---

[١] السابق ص ١١٠ وما بعدها .

[٢] العمدة لابن رشيق القيرواني ، تح / محي الدين عبد الحميد ، ٢٩٠/١ ــ دار الجيل ــ ط رابعة ١٩٧٢م .

[٣] ينظر : سر الفصاحة ص : ٢٤٨ ، ٢١٧ .

[٤] السابق ص : ١٦٣ .

[٥] السابق ص : ٧٠ ، ١٩٠ .

ابن يزيد في الإيجاز المحمود . [١]

وتارة يسلك مسلك الموازنة لا ليميز بين جودة قوله أو رداءة قول غيره أو العكس ، بل ليكشف لنا عما انفرد به كل منهما من الوفاء بدلالة الغرض وإيضاح المقصود .

يبدو هذا فيما تنبه له وانفرد به فيما هو مشهور من تشبيه شيئين بشيئين في بيت . [٢]

وتارة يسلك مسلك الموازنة لا ليكشف لنا عما أحسن فيه هو وما أساء فيه غيره ، ولا عما أبان فيه من دلالة كل منهما على الغرض ، بل قارن يبين قولين له في مقام واحد وكأنه يريد أن يقول لنا إن امرأ القيس وإن اشتهر بوصف الخيل إلا أنه لم يكن مصيباً في كل موطن فكان كلامه غير مطابق لمقتضى حاله .

هذا ولم يكن ابن سنان الخفاجي هو أول من سبق إلى نقد امرئ القيس، بل سبقه إليه الأمدي والجرجاني وقدامه وأبو هلال وغيرهم ، وهو في هذا :

ـ إما أن يوافقهم على نقدهم ويضيف إليه .

وذلك على نحو موافقته لهم فيما ذكروا من الغريب الوحشي أو التكرير القبيح .

ـ وإما أن يخالفهم فيه :

وذلك على نحو مخالفته لأبى هاشم ـ عبد السلام بن محمد ـ [٣] من أن

---

[١] ينظر : سر الفصاحة ص : ١٤٨ ، ٢١٧ .

[٢] ينظر : البحث ص : ٥٨ وما بعدها .

[٣] هو : أبو هاشم عدالسلام بن محمد الجبائي المعتزلي ، صاحب كتاب المسائل البغداديات في إعجاز القرآن ، وهو من الكتب المفقودة ، ذكر ذلك د/ حكمت بن بشير بن ياسين في كتابه

الحشو في قوله " ورضت فذلت صعبة أي إذلال " إنما هو لإرادة الوزن لا غير.

ــ وإما أن يقف موقفاً وسطاً :

وذلك على نحو موقفه فيما خولف فيه العرف العربي الفصيح وما استحسنوه من استعارة أجزاء الحيوان لأوصاف الليل الطويل .

وهناك ضرب آخر لا يقف عند هذا الحد ، بل إنه ليتجاوز هذا إلى الكشف عما قصر فيه سابقوه من إبراز العلة وإظهار السبب .

أما كونه في ضوء أسرار الفصاحة فلأن الفصاحة عنده ليست سرًا واحدًا بل هي سر قد اشتمل على عدة أسرار [١] ، والدليل على ذلك أنك تجد من تلك الأسرار ما يختص بفصاحة اللفظة المفردة ، وقد جاء نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء شرطين من شروطها :ــ

الأول : أن تكون غير متوعرة وحشية .

الثاني : أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح .

ومنها ما يختص بفصاحة الألفلظ المؤلفة :ــ

وقد جاء نقد ابن سنان لامرئ القيس في ضوء الأسرار الآتية :

ــ التكرير ــ الحشو المفيد ــ الإيجاز المحمود .

ــ حسن الاستعارة ــ الكناية الحسنة والإرداف .

ــ التصريع ــ الترصيع .

ومنها ما يختص بنقد ابن سنان لامرئ القيس في ضوء أسرار فصاحة

كتب التراث بين الجودة والانبعاث ص ٢٧٣ ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع .

[١] ومما يؤيد هذا قوله في نهاية الحديث عن الألفاظ المؤلفة : " هذا منتهى ما نقوله في الألفاظ بانفرادها واشتراكها مع المعاني ، ومن وقف عليه عرف حقيقة الفصاحة ومائتها ، وعلم أسرارها وعللها . سر الفصاحة ص ٢٤٣ .

المعاني المفردة ، والتي منها :ــ

ــ صحة التشبية .

ــ صحة الأوصاف .

ــ الاحتراس [١].

هذا وكما لم يكن ابن سنان هو أول من سبق إلى نقد امرئ القيس كذلك لم أكن أنا أول من سبق إلى هذه الدراسة ، بل سبقتني إليها دراسة مناظرة كـ"مناقدة ابن سنان للمتنبي " للدكتور / على عيسى ، ومناقدة ابن سنان لأبي تمام " للدكتور / محمد بنوت ، ولئن كان هناك من تشابه فذلك وفق منهج ابن سنان في عرض أفكاره ، وإذا كان هناك من اختلاف ــ وهو واقع لا محالة ــ فذلك وفق رؤية كل باحث تجاه نظر ابن سنان لكل شاعر على حدة .

---

[١] هذا ولئن نهج البحث نهج ابن سنان في الترتيب إلا أنه لم يهمل ما هو مشهور عند البلاغيين المتأخرين من ضم النظير إلي النظير :ــ

ــ أما في فصاحة اللفظة المفردة فظاهر .

ــ وأما في فصاحة الألفاظ المؤلفة ، فقد ذكر الحشو إثر التكرير وهو من المتوسط بين الاستعارة والكناية وهما من أبواب علم البيان ، كما ثلث بذكر الإيجاز وهو من الأسرار الواقعة بعد أبواب من البيان والبديع ، وتلى هذا الحديث عن حسن الاستعارة والكناية وضم إليهما الإرداف وهو الواقع بعد أبواب من المعاني والبديع .

وههنا أمران ينبغي التنبيه عليهما :

الأول : لم يذكر الاحتراس إثر صور الإطناب ووضع في أسرار فصاحة المعاني المفردة لأنها ذكره إثر بيان كمال المعنى والمبالغة فيه ، وكأنه يريد أن يقول لنا لولا ذكر التحرز عما يوجب الطعن لظل المعنى ناقصا .

الثاني : لم يوضع التشبيه في صدر الحديث عن صور البيان لأنه بنى نقده له على صحة المعاني ، ومن يطالب أسس استحسانه له ــ فيما يشتمل عليه من الأركان ــ يجد دليلاً على صدق ما أقول .

هذا ولئن كان لابن سنان من جهد فذلك ما سبقت الإشارة إليه والنص عليه ، ولئن كان عليه من مأخذ فذلك تركه ــ في جل ما استشهد به في صفحات كتابه ــ النقد الموضوعي إلى النقد الموضعي ، فضلاً عن عدم مراعاته حال الشاعر والكشف عن ملاءمة تلك الحال مع ما يريد توصيله للسامع والقارئ .

وهذا ما عرض له البحث في كل موطن وعمل على جلائه ووضوحه سواء في ذلك مواطن الاستحسان أو مواطن الاستقباح ، وسواء أكان في ذلك ــ أيضاً ــ موافقاً له أو مخالفاً إياه .

وبعد فهذا جهدي فإن أك قد وفقت فلله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبي جزاء المجتهد والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ..

أولاً : نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء أسرار فصاحة اللفظة المفردة

أ ـ أن تكون غير متوعرة وحشية :

من أسرار فصاحة اللفظة المفردة عند ابن سنان الخفاجي : أن تكون غير متوعرة وحشية كما قرر أبو عثمان الجاحظ على حد تعبيره [١] ، فإن كانت متوعرة وحشية فهي غير فصيحة .

فإن قلت ما السبب في أن الكلمة إذا كانت متوعرة وحشية كانت غير فصيحة ؟ وهل ورد منه شيء في قول امرئ القيس ؟ وما موقف ابن سنان منه؟

قلت : السبب هو عدم دوران الكلمة على ألسنة العرب الخلص[٢] ، أما ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ، أو ما تداول استعماله الأول دون الآخر فهو من الوحشي الحسن وليس من الوحشي القبيح..[٣]

أما ما ورد من الوحشي في قول امرئ القيس وهو عنده من الوحشي

---

[١] ينظر : سر الفصاحة ص : ٦٦ ، البيان والتبيين للجاحظ ١٣٧/١، ن: مكتبة الخانجي بمصر ، ط : رابعة .

[٢] ينظر : بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ١٣/١ ، ن : مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

[٣] ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لا بل الأثير تح : د / أحمد الحوفي ، د / بدوي طبانه ١ / ١٧٦ دار نهضة مصر للطبع والنشر .

القبيح فذلك قوله :

وسِنٍّ كسنيق سناءً وسُنمّاً (*)

يقول ابن سنان معلقاً أو ناقلاً تعليق غيره : " ... هذا على ما ذكر لم يعرفه الأصمعي ولا أبو عمرو ، وقال أبو عمرو : هو بيت مسجدي يريد : من عمل أهل المسجد" . (١)

وفي هذا دلالة على أن هذا البيت به ألفاظ غريبة ، والغرابة مفسرة بالوحشية والدليل على ذلك أن أهل العلم بالشعر ورواته ليسوا على علم بها ، ومادام أنها كذلك فهي ألفاظ غير فصيحة .

وههنا جملة من الأسئلة تطرح نفسها :

هل الحكم بالوعورة والوحشية على تلك الألفاظ ــ نظراً لخفائها أو لخفاء معانيها مقصور على الأصمعي وأبى عمر بن العلاء أم أنه يتجاوزه إلى غيرهما؟ وإذا كان غيرهما على علم بها فهل هذا يعني أنها من الغريب الحسن أو أنها من الغريب القبيح ؟ وهل هي ملائمة لما عليه حال الشاعر أو أنها ليست كذلك ؟ وهل كان يمكن للشاعر استبدالها بألفاظ أخرى تكون مناسبة لها في لفظها ومعناها ؟ وما دلالتها ؟

(*) وتمامه :

ذَعَرْتُ بمد لاج الهجير نهوض

ينظر : ديوان امرئ القيس ص: ١٧٨ ، دار صادر ، سر الفصاحة ٧٠ .

(١) سر الفصاحة ص : ٧٠ ، وهو في هذا تابع لما ذكره الآمدي ، ينظر : الموازنة بين أبى تمام والبحتري للآمدي تح سيد أحمد صقر ٢٨٦/١ ، ط : دار المعارف ط زايد ، ن : مكتبة الخانجي بمصر .

ويجيب على الأول والثاني ابن سنان الخفاجي نفسه .

يقول : " وقال غيرهما : سنيق : جبل ، وسُنَمّ : هي البقرة ، وأما السن : فالثور " . [١]

بيد أن هذه الألفاظ وإن كانت معروفة عند غيرهما إلا أن تلك المعرفة لا تخرجها عند ابن سنان عن كونها قبيحة :

يقول إثر ما استشهد من وحشي امرئ القيس وغيره : " .. إن كان هؤلاء أرادوا الإغراب حتى يتساوى في الجهل بكلامهم العامة وأكثر الخاصة فما أقبح ما وقع لهم " . [٢]

هذا والذي يراه البحث أن هذه الألفاظ من الغريب الحسن وليست من الغريب القبيح ، وذلك لأمرين :

الأول : أنه إذا كان المعول عليه في ذلك هم العرب الخلص ، وكان مدار الأمر على ما استعمله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا أو ما استعمله الأول دون الآخر وأمرؤ القيس واحد منهم فهي من الغريب الحسن وليست من الغريب القبيح ، إلا أنها وإن خفيت على الأصمعي وأبى عمرو ابن العلاء فليست بخافية على أهل زمانها .

ثم إنه كيف يُنسب إلى الأصمعي ذلك والأصمعي وإن لم يعرف : " سنيق ولا سنم إلا أنه قد عرف السن والسن عنده بمعنى الثور ؟ هكذا يقول صاحب الموازنة . [٣]

---

[١] سر الفصاحة ص ٧٠ .

[٢] السابق .

[٣] الموازنة للآمدي ١ / ٢٨٦ .

إن الحكم على تلك الألفاظ بذلك القبح كان يسوغ لو كانت تلك الألفاظ قد ضاعت واندثرت في بطون أمهات الكتب والتي لا نظن أن القاموس أو الأساس واحدةً منها كما يقول أستاذنا الدكتور / أبو موسى [١] ــ أثابه الله ــ

ففي القاموس : " السن ــ بالكسر ــ الثور الوحشي .. ، و" السنام " : كسحاب : جمع أسنمة .. جبل بالبصرة يقال إنه يسير مع الدجال " والسنم " البعير العظيم السنام " [٢] ، وكذا الأمر في الأساس [٣] ، أما السنيق : فهو البقرة كما يقول صاحب اللسان [٤] ، ويضيف : " ولم يفسر أبو عمرو قول امرئ القيس: "وسن كسنيق سناءً وسنما " ، وفسره غيره فقال : هو : جبل " . [٥]

الثاني : أن هذه الألفاظ وإن كانت غريبة إلا أنها قد حسنت بحسن موقعها لسبب هو أن الشاعر يريد أن يصف فرسه بالسرعة والقوة ، فهو الذي قيدّ به الأوابد من قبل ، وهو الذي ذعر به سرباً نقياً جلوده ــ ههنا ــ ، وهو الذي والى به بين ثلاث واثنين وأربع وغادر أخرى في قناة الرفيض كما عادى بين ثور ونعجة وأصابهما في طلق واحد من قبل ... إلخ .

---

[١] خصائص التراكيب أ.د / محمد أبو موسى ، ص: ٢٥ ، ن : مكتبة وهبة ط ثانية ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

[٢] القاموس المحيط للفيروز أبادي مادة : س . ن . ن ــ ٤ / ٢٣٠ ، ن: دار الكتب العلمية . بيروت ، ط : أولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م .

[٣] القاموس مادة : س ن م ٤ / ٨٩ ، ٩٠ .

[٤] ينظر : أساس البلاغة للزمخشري مادة : س ن م ــ ن : دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

ينظر : لسان العرب لابن منظور ، تح : الأساتذة : عبد الله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي . مادة س ن ق ، ط دار المعارف .

[٥] ينظر : اللسان مادة س ن ق ٣ / ٢١١٩ .

وإلى هنا يبدو أن الشاعر قد بالغ في قوته وسرعته وأنه قد ذعرها لقوته وضعفها ، فيأتي بذلك البيت وما يشتمل عليه من تلك الألفاظ التي تنبئ عن عظمها وصلابتها وضخامتها والتي بلغ من عظمها وصلابتها وضخامتها أن شبه منها ذلك السن وهو الثور الوحشي بـ" السنيق " ، وهو الجبل العظيم الضخم في صلابته وشدته وارتفاعه .

ومما قويت به الصلة واشتد الارتباط مجيء الجناس بين " سن " ، و"سنيق " ، والذي يوهمك فوق دلالة الاشتقاق قبل تمام الكلمة أن ذلك الثور جزء من ذلك الجبل العظيم الضخم ، لاسيما وأن من معانيه ـ أي : السنيق ـ : الصخرة الصلبة أو الجبل . [١]

بقى هنا أمر ينبغي التذكير به والتنبيه عليه وهو اختيار الشاعر هذه الألفاظ وقد كان يمكنه أن يقول مثلا :

وثور كجبل سناءً وسُنَّما

بيد أن الشاعر وإن أمكنه أن يقول ذلك إلا أنه فوق ما يترتب على انكسار وزن البيت ـ فيه دلالة على أن ثوره قد يكون كسائر الثيران ، بل ربما يكون ثوراً من الثيران المأنوسة الضعيفة ، ومن ثمَّ فلا يكون لذعر ما ذعر به ميزة على غيره ، وإنما تظهر تلك القوة من ذلك الفرس وما يترتب عليه من ذلك الذعر عندما يواجه قوياً مثله ، وهذا مالا يتحقق إلا بإطلاق ذلك اللفظ وهو "سن" والذي يضيف إلى دلالته على الثور معنى التوحش .

وكذا الأمر لو قال : "وسن كجبل " فإن الجبل منه ما هو صخر ، ومنه ما هو رمل ، والصخر منه ما هو صلب ومنه ما دون ذلك ، لكن لفظا واحداً فيه إلى

---

[١] ينظر الديوان ص : ٥١ ، ١٧٨ ، ٥٨ .

جانب دلالته على الصخر معنى الصلابة والشدة والقوة فذلك مالا يفاد إلا من قوله:" وسنيق " .

وما قيل في : " سن " ، و " سنيق " يقال مثله في : " سنما " ، والذي لا يمكن استبداله بقوله مثلاً : " وسن كسنيق سناء أو ارتفاعاً " إذ لو كان المراد به الارتفاع وكفى لأغنى عنه قوله : " سناء " ، إذ هو بمعناه[١] ، ومن ثمَّ فلا يكون لذكره فائدة سوى أنه لفظ اجتلب من أجل القافية لا غير ، لَكّن لفظًا واحدًا يضيف إلى معنى الارتفاع معنى الضخامة والعظم فذلك ما نجده في قوله : " وسنما " .

ورحم الله صاحب الأساس إذ يقول : " .. جبل سَنِم وناقة سنمة عظيمة السنام .. واسنمت النار ارتفع لهبها " . [٢]

ب ـ أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح :

من أسرار فصاحة الكلمة : " أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة " [٣] ، ويدخل في هذا ــ أي في الشاذ ــ " كل ما ينكره أهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة " ، وذلك كأن تكون الكلمة غير عربية ، أو أنها عربية إلا أنها قد عُبِّر بها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة، ... أو صرف مالا ينصرف أو العكس ، أو تذكير المؤنث ، أو تأنيث المذكر أو حذف الإعراب لأجل الضرورة . [٤]

وعلى الأخير منها جاء نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في بيت

---

[١] ينظر : اللسان .

[٢] أساس البلاغة للزمخشري ، مادة " س ن م " دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

[٣] سر الفصاحة : ٧٧ .

[٤] سر الفصاحة ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ .

واحد فقط، وذلك في قوله :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

يقول ابن سنان : " ... وحذف الإعراب للضرورة مثل قول امرئ القيس ... البيت [١] . وموطن الحذف ــ ههنا ــ يكمن في إسقاط حركة الرفع وهي ضمة الباء من الفعل : " أشرب " والتي حذفت منه لأجل الضرورة . [٢]

يبد أن هذا وأشباهه وإن لم يكن له كبير تأثير في الفصاحة ــ كما يقول ابن سنان ــ إلا أن الكلمة لا تخلو فيه من قبح على قدر التأويل فيه وحكمه ، والسبب في ذلك أن الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها ، ومادام أنها كذلك فيجب إخراج هذه الأمور التي تضفي عليها صفة نقص [٣] ، وتخرجها عن دائرة الكمال في الفصاحة .

هذا ولم يكن ابن سنان الخفاجي هو أول من ذهب إلى القول بقبح ذلك الحذف بل سبقه إليه أبو الحسن الأخفش : يقول : والرواية الجيدة : " فاليوم فاشرب ، واليوم أسقي " وأما رواية : " فاليوم أشربْ " فلا يجوز عندنا إلا على

---

[١] السابق : ٨٣ .

[٢] ينظر :خزانة الأدب للبغدادي ، تح : عبد السلام هارون ٨ / ٣٥٠ . ن : مكتبة الخانجي بالقاهرة .

[٣] ينظر : سر الفصاحة ص٨٤ .

ضرورة قبيحة " .[١]

بل إن من اللغويين والنحاة من ينكر هذه الرواية ــ بتسكين الباء ــ لما فيها من إذهاب حركة الإعراب ويرى أن رواية البيت : " فاليوم فاشربْ " فراراً من ذلك الحذف لأجل تلك الضرورة .[٢]

والذي يبدو لي هنا ــ أن الكلام فيه شيء من الغموض ، وأن العلة فيه قد تكون لفظية ، وأن الذي ينبغي أن يعول عليه ويبحث عنه هو الكشف عن نقص كما لها وسبب قبحها بسبب ذلك الحذف ، وهل هما كذلك فعلاً كما قال ابن سنان أم أنها قبيحة ؟ وما سر فصاحتها ؟ وهل كان يمكن للشاعر استبدال هذه الرواية برواية الرفع ؟ وهل هذه الرواية تتنافى مع ما ذكره الأخفش من أن الرواية الجيدة : " فاليوم فاشربْ " ، أو : " فاليوم أسقي " كما هي رواية الديوان[٣] ، أو تقل جودة عنهما ؟

ويجاب عن ذلك بما يلي :

أولاً : أن سيبويه قد سمع البيت من الأعراب وحكاه كما سمعه[٤] ،

---

[١] ينظر : خزانة الأدب ٨ / ٣٥٢ ، وكتاب النوادر في اللغة لأبى زيد الأنصاري تح د/محمد عبد القادر أحمد ١٨٨ ، ن : دار الشروق ، معاني القرآن للأخفش ، تح د / عبد الأحد محمد أمين ٢٦٧/١ ، ن : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

[٢] الخزانة ٨ / ٣٥٢ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تح / عبد الجليل عبده شلبي ١٣٦/١ ط أولى ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

[٣] ديوان امرئ القيس : ١٤٩ .

[٤] ينظر : خزانة الأدب ٣ / ٣٥١ ، ٣٥٤ ، الكتاب لسيبويه ــ تح / عبد السلام هارون ٢٠٣/٤ ، ٢٠٤ ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ومادام أنه كذلك فهو فصيح وإن خالف القياس كما في آل وماء [١] .. ، بل إن سعد الدين يذهب إلى أن هذه الألفاظ وما أشبهها من الشواذ الثابتة في اللغة ليست من المخالفة في شيء ؛ لأنها كذلك ثبتت عن الواضع ، ومن ثم فهي عنده في حكم المستثناة ، ويضيف : " فكأنه قال ــ أي المصنف ــ القياس كذا وكذا إلا في هذه الصور بل المخالف مالا يكون على وفق ما ثبت عن الواضع " . [٢]

ثانياً : أن سر فصاحتها يكمن في ذلك التوافق النفسي بين التأهب للتلذذ بذلك الشرب وقد آن له أن يروى غلته بعد أن أتى عليه طول الظمأ ، وبين ذلك الاستقرار بعد الأخذ بذلك التأثر والذي روى فيه غلته بدماء أعدائه بعد أن أتى عليه طول الشقاء ، وذلك فيما أحسب ــ مالا تنهض به دلالة الرفع والتي ربما لا تخرج عن مجرد الإخبار بذلك الشرب وأنه قد أباح لنفسه منها ما كان قد حرَّم عليها من قبل .

أما سبب قبحها فذلك ربما لما يوحي به سكون الباء ــ الذي أجرى فيه الوصل مجرى الوقف ــ من دلالة الانقطاع عن ذلك الشرب بعد طلبه له أو تناوله إياه فضلاً عن عدم الاستغراق أو التمادي فيه .

ثالثاً : أن ما ذكر سابقاً لا يتنافى مع الرواية الأخرى وهي : " فاليوم فاشرب " أو : " فاليوم أسقى " ، بل ولا تقل كل واحدة منهما جودة عنها ... أما الأولى فذلك لما توحي به دلالة التجريد في الفعل : " فاشرب " ، من أن الشاعر ههنا ــ لشدة شغفه

---

[١] ينظر : علم المعاني د / بسيوني فيود ص: ٢٠ ، مؤسسة المختار للطبع والنشر ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني . تح / على النجدي ناصف ، د / عبد الحليم النجار ، د / عبد الفتاح شلبي ١١٠/١ ، القاهرة ١٣٨٦ .

[٢] ينظر : المطول لسعد الدين تح / عبد الحميد هنداوي ، ص١٤٣ ، ن : دار الكتب العلمية ــ بيروت .

بذلك الشرب ــ كأنه قد جرد من نفسه إنسانا آخر يخاطبه ــ بعد ذلك الاستقرار ــ إلى أن يشبع نهمه منها . وأما الثانية فذلك لما يوحي به البناء للمجهول من الدلالة على أن غيره يسقيه ــ بعد الأخذ بذلك الثأر ــ حفاوة به وتكريماً له .

ثانياً : نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء أسرار فصاحة الألفاظ المؤلفة

التكرير :

من أسرار فصاحة الألفاظ المؤلف بعضها إلى بعض التكرير ، وذلك إنما يستحسن بشرطين :

الأول : أن يجتنب الناظم تكرر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام. [١]

الثاني : أن يجتنب الناظم تكرر كلمات بعينها وإن لم تكن حروفها متقاربة في المخرج بل متحدة فيه وليس لها تأثير في المعنى المقصود . [٢]

يقول ابن سنان : " وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع " . [٣]

وعلى هذا استقبح ابن سنان الخفاجي قول امرئ القيس :

إلا إنني بالٍ على جمل بال يقود بنا بالٍ ويتبعنا بالي[*]

يقول : " ولم يزل الناس على وجه الدهر منكرين قول امرئ القيس .. البيت وهو لعمري قبيح " . [٤]

---

[١] ينظر : سر الفصاحة : ٩٧ .

[٢] ينظر : السابق ١٠٣ ، ١٠٧ .

[٣] السابق : ١٠٢ .

[*] ينظر : الديوان ١٣٩ .

[٤] سر الفصاحة : ١٠٤ .

وموطن القبح يكمن في تكرار كلمة " بال " أربع مرات في البيت وإن كانت هي بمفردها فصيحة ؛ وذلك يحسن إذا كان المعنى مبنياً عليه وكان مقصوراً على إعادة اللفظ بعينه ــ كما يقول ابن سنان [١] ــ " وما ههنا ليس كذلك ؛ إذ هي من البلى الذي هو بمعنى الإعياء .

يقول ابن منظور فيما نسبه لابن الأعرابي في اللسان : " .. البَلْىُ والبلبلة والبلايا التي قد أعيت وصارت نضواً هالكاً " ويقال : ناقة بلو سفر إذا بلاها السفر " وكذلك الرجل والبعير . [٢]

هذا ويرد على ذلك بما يلي :

أولاً : أني لم أجد فيما أزعم ــ أحداً من السابقين عليه[٣] ، أو المعاصرين له[٤] أو اللاحقين به[٥] ــ قد أنكر هذا البيت أو استقبحه سوى أسامة بن منقذ ، يقول: " اعلم أن الركاكة هي أن يكون اللفظ متناولاً والمعنى متداولاً كالكلمات المستعملة والألفاظ المهملة فيكون الشعر ركيكاً والنسج ضعيفاً . كقول امرئ القيس: إلا إنني بال ... البيت ، ويضيف : " ومن العجيب أن صاحب الصناعتين جعله من محاسن الشعر ولقبه بالتعطف ولا خلاف بين العالم

---

[١] ينظر : سر الفصاحة : ١٠٧ .

[٢] اللسان مادة " ب ل ى " بتقديم وتأخير ١ / ٣٥٦ .

[٣] وهم ابن سلام في الطبقات ، والجاحظ في البيان والتبين والحيوان وابن قتيبة في الشعر والشعراء ، وقدامة في نقد الشعر والآمدي في الموازنة ، والجرجاني في الوساطة ، وأبو هلال في الصناعتين ، وابن طباطبا في عيار الشعر .

[٤] كابن رشيق في العمده ، والإمام عبد القاهر في الأسرار والدلائل .

[٥] كابن الأثير في المثل السائر ، والعلوي في الطراز .

والجاهل في ركاكته".[١]

وإذا كان ذلك كذلك فإلى من ينسب إنكار هذا القول ؟ ومن هم أولئك الذين أنكروه ؟

ــ منهم من لم يذكره أصلاً لا بحسن ولا بقبح . ومن هؤلاء : ابن المعتز وابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، والآمدي ، والقاضي الجرجاني .

ــ ومنهم من ذكره في نعت القوافي وعده من التصريع الذي يدل على اقتدار الشاعر وسعة بحره والذي لا يتوخاه إلا الفحول والمجيدون من الشعراء القدماء والمحدثين كما يقول قدامه ، ويضيف : " وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر" ، ومنه قوله : " إلا إنني بال ... البيت ".[٢]

ــ ومنهم من ذكره في باب التعطف وجعله من محاسن الشعر ... ومن هؤلاء : أبو هلال العسكري على حد تعبير أسامة بن منقذ .[٣]

ــ بل إن ابن سنان الخفاجي نفسه قد ذكره في باب التصريع ، وقال : "وممن كان يلهج به امرؤ القيس " ، واستشهد به ــ ضمن ما استشهد ــ على نحو ما سبق به قدامة .[٤]

---

[١] البديع في نقد الشعر لامامة ابن منقذ ، تح / عبدا على مهنا ، ص: ٢٣٨ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

[٢] نقد الشعر قدامه بن جعفر، تح د/ خفاجي ص ٨٦ ، ٨٧ ، ن : مكتبة الكليات الأزهرية ط : أولى ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

[٣] كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تح / مفيد قميحة ص ١٧٤ ، ن : دار الكتب العليمة بيروت ، ط ثانية ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م ، وينظر : البديع في نقد الشعر ص ٢٣٨ .

[٤] ينظر : سر الفصاحة : ١٨٨ .

وبناءً على هذا وعلى فرض أنه أُنكر أو استقبح ــ كما قال ابن سنان ــ ولم أعثر عليه لقصر باعي وقلة إطلاعي أقول له على استحياء : " أيها العالم الأديب أيُنكر هنا ويقبل هناك ؟ أم أنك تستقبح هنا وتستحسن هنالك ؟

ثانياً : أن هذا البيت وإن تكرر فيه ذلك اللفظ وهو "بالٍ " أربع مرات في البيت إلا أنك لا تجد فيه من الثقل المخل بفصاحة الكلام على نحو ما تجد في قول أبى تمام :

" كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... البيت "(*) أو في قول المتنبي : "فقلقلك بالهم الذي قلقل الحشا ... البيت "(*) ، ولا فيما قيل إنه من أشعار الجن:(١) " وقبر حرب بمكان قفر ... البيت "(*) ، والتي جاء عيب هذا البيت في سياق الحديث عنها ، بل تجد ألفاظه تجري على اللسان في انسياب وسهولة .

ثالثاً : أن الألفاظ إذا كانت حسنة في حال انفرادها كما يقول ابن الأثير ــ فإن استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها. (٢)

رابعاً : أن هذه الألفاظ وإن كانت تلتقي حول معنى واحد يجمعها البلى إلا أن التغاير بينها باعتبار موصوفها(*) كما يقول أبو هلال فاختلفت لهذه الجهة. (٣)

(*) وتمامه : ومتى ما لمته لمته وحدي ، ينظر : ديوان أبي تمام ، تح : محمد عبده عزام ٢/ ١١٦ ، دار المعارف بمصر .

(*) وتمامه : قلاقل عيس كلهن قلاقل ، ينظر : شرح ديوان المتنبي لعبدالرحمن البرقوقي ٣ /٢٩٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

(١) ينظر : سر الفصاحة : ١٠٢ ، ١٠٤ .

(*) وتمامه : وليس قرب قبر حرب قبر ، ينظر : البيان والتبيين ١/ ٦٥.

(٢) ينظر : المثل السائر ٣ / ٢٢ .

(*) أما هو فقد أعياه الحب ، وأما جمله فقد أعياه السفر وقطعه القيافي في الهواجر وأما قائده وتابعه فقد هزلا من كثرة الأسفار والخدمة نهاراً والسهر ليللا .

ينظر : هامش البديع في نقد الشعر ٣٣٨ .

(٣) الصناعتين ٤٧٤ .

خامساً : إذا كانت للتكرير مواطن يحسن فيها[١] ، وكان في كثير منها يأتي لإرادة التوكيد [٢] فقد جاء ــ ههنا ــ ليعبر عن حقيقة تنفعل بها نفسه وهي ضعفه وعجزه أمام قوة البلى ، وأنه إذا جاء فلا يمكن دفعه ، بل سيصيبه هو وجمله وقائده ومن يتبعه ، وكأنك تستشعر أنه قد قال هذه القصيدة في أخريات حياته وأن هناك توافقاً ما بينه وبين ذلك الطلل البالي والذي دعا له بأن ينعم في مستهل قصيدته .

الحشو المفيد :

" ... أصل الحشو أن يكون المقصد بها ــ أي الكلمة المحشوة ــ إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروى إن كان الكلام منظوماً وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان الكلام منثوراً " [٣] ، ولا ينبغي أن يقتصر على هذا من غير معنى تفيده بحيث يكون دخولها في الكلام كخروجها منه كما يقول ابن سنان ــ بل لابد لها من فائدة مختارة وتأثير في الكلام لولاها لم يكن لها هذا التأثير.[٤]

وهذا النوع من الحشو منه ما يأتي في متن البيت ، ومنه ما يأتي في

---

[١] ينظر : العمدة ٢ / ٧٣ .

[٢] ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة . تح / السيد أحمد صقر ٢٣٥ ، ن : دار التراث ط ثابتة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

[٣] سر الفصاحة ١٤٦ .

[٤] ينظر : السابق .

قافيته [١] ومنه ما يأتي فيهما ــ في أسلوب واحد ــ معاً .

وابن سنان الخفاجي إذ يعرض لما جاء منه في شعر امرئ القيس على الأخير منها ــ وهو عنده الأول ــ فإنه ينص على ما فيه من الفائدة ويرد على من قصر مجيئه لأجل الوزن لا غير .

وذلك في قوله :

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال[٢]

حيث ذهب أبو هاشم ــ عبد السلام ابن محمد ــ إلى أن امرأ القيس لو كان قوله هذا " في الكلام " لكان يقول : " ورضت فنلت أي إذلال " " لو شاء " ولو شاء لقال : " ورضت فذلت صعبه " ، فقد بان أنهم ربما ذكروا المصادر والظروف ليتم الوزن لا غير وهذا كما قال الأعشى :

---

[١] وقد سمى أصحاب صناعة العلم بالشعر ما يأتي في قافيته بالإيغال[*]وهو كذلك عند البلاغيين المتأخرين . [**] "ويجب أن تعلم " أن هذا الموضع من حشو البيت شديد المراعاة لأجل أنه قافية ، فإذا وقعت فيه الإصابة أو الخطأ كان أظهر لهما إذا وقع في كلمة من متن البيت لما يختص به هذا الموضع من فضل العناية إذا كان متميزًا بالقصد مما هو طرف وقافية [***]

[*] طالع هذا في سر الفصاحة ١٥٥ ، ١٥٦ ، وينظر: نقد الشعر لقدامه بن جعفر ، والصناعتين ٤٢٢.

[**] ينظر : يغية الإيضاح ص ٣٥٠ ، والمطول : ص ٤٩٥

[***] سر الفصاحة ١٥٦ .

[٢] سر الفصاحة ١٤٧ ، ١٤٨ ، المسائل البغداديات لأبي هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي المعتزلي ، ولم أعثر عليه لكونه من كتب التراث المفقودة ، وقد أفدت هذا من كتاب كتب التراث بين الحوادث والانبعاث د، حكمت بن بشير ص ٢٧٣ ط أولى ١٤٢٤هـ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع .

..... فأصبت حية قلبها وطحالها [*]

ولولا الوزن لاكتفى بقوله : " فأصبت حبة قبلها " [١]انتهى كلام أبى هاشم.

يعقب ابن سنان على ما ذكره أبو هاشم بقوله : " وقد زل في هذا الموضع أبو هاشم عبد السلام بن محمد ــ فالحق الجيد بالرديء[*] ، وموطن الزلل فيما ذكره أبو هاشم كما يقول ابن سنان : هو أن الشاعر إذا احتاج إلى الوزن ذكر مالا يحتاج إليه في الكلام المنثور . ألا ترى إلى قول امرئ القيس ... البيت ، وهذا كما قال الأعشى : " فأستوى عنده لأجل الوزن ــ ما اشتمل على الفائدة وما خلا فيها ... " ، ويضيف : " ... وهذا كلام بعيد من الصواب لأن صعبة ــ من بيت امرئ القيس وقوله : ــ أي إذلال ــ حشو مختار حسن يقصد في المنثور مثله الحذاق بتأليفه ؛ لأنه لو قال : ورضت فذلت لم يكن في الكلام دليل على أن هناك صعوبة ولا ثم تمنعاً وبقوله صعبة قد حصل هذا الغرض وهو مقصود لا يخفى على عاقل في هذا الموصوف وفي تأليف الكلام لا يخفى على من له أدنى علم بهذه الصناعة ، ثم في قوله بعد أي إذلال ــ وصف حسن لذلها ليس بمستفاد من الأول لموقع التعجب فيه والوصف " أما بيت الأعشى فالأمر فيه على ما وقع لأبى هاشم وهو من أقبح الحشو " ، بل " ولا مناسبة بينه وبين بيت امرئ القيس في حال من الأحوال " . [٢]

---

[*] وصدره : " فرميت غفلة عينه عن شاته " .

ينظر : ديوان الأعشى تح / فوزي عطوى ص : ١٣٩ ، ن : دار صعب ــ بيروت .

[١] ينظر : سر الفصاحة ١٤٧ ، ١٤٨ . المسائل البغداديات .

[*] الجيد هو قول امرئ القيس والرديء هو قول الأعشى .

[٢] سر الفصاحة : ١٤٧ ، ١٤٨ .

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي فيما أبرز من تلك الفائدة لكل لفظة في بيت امرئ القيس ــ وأصاب ؛ إذ لو نال ما نال منها في يسر وسهولة لما سما إليها بعدما نام أهلها شيئاً بعد شيء ، وحالاً بعد حال حتى لا يشعر بمكانه أحد ، ولما كان لدعاء ما دعت به عليه ــ خشية العار والفضيحة فائدة ، ولما ارتكب ما ارتكب من ذلك اليمين والإصرار على ما هو عليه وإن قطعوا رأسه ومزقوا أجزاء أوصال جسده ، ولما حلف لها بالله حلفة فاجر أنهم قد ناموا جميعاً فما من مستيقظ منهم أحد [١] ، ولما راضها وذللها ــ بعد أن كانت متأبية عليه ــ كما يراض البعير حتى يبلغ منها ما أراد ، ولما تجشم ما هو أصعب من ذلك وهو : الرد على من يهدده ــ لارتكاب ما ارتكب ويتوعده بالقتل ــ . [٢]

كل هذا مما يؤيد أن ههنا ــ صعوبة وثم تمنعا سواء أكان ذلك نابعاً من ذاتها أو لا ، أم من أمر خارج عنها كما هنا ..

أما ما ذكره في بيت الأعشى فإن نوافقه عليه من جانب فإنا نخالفه عليه من جانب آخر :

أما الأول : فلأن عاطفة الحب تصيب القلب ؛ ولا تصيب الطحال[٣] ، وبناء عليه كان ذكر الطحال بعد حبة القلب حشواً مفسداً للمعنى ، يستوي في ذلك الفساد بين أن يقول لأجل الوزن ــ فأصبت حبة قلبها وطحالها . وبين أن يقول مثلاً : فأبت حبة قلبها وكلاها ...

---

[١] سر الفصاحة : ١٤٨ .

[٢] يطالع هذا في سياق سابق البيت ولاحقه في الديوان وهامشه ص: ٣١ وما بعدها .

[٣] ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد بدوي ، ٣٥٠ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

ولو أن الأعشى قال فأصبت حبة قلبها وكبدها ــ لولا انكسار وزن البيت ــ وإن كان يضفي على الكلام نقصا ــ وهو من الحشو المذموم أيضاً ــ عند ابن سنان ــ إلا أنه قد تكون له مندوحة وهو أن يصيب ما في جسدها من أغلى الأعضاء ، وعلى أية حال هو من الحشو القبيح .

وأما الثاني : فلأن المناسبة موجودة بين البيتين لاتحاد الغرض فيهما وليست منفية كما ذكر ابن سنان ، ذلك أن الأعشى وإن أصاب حبة قلبها إلا أن امرأ القيس قد شغف فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي [١] : وعلى هذا تجد توافقا في الغرض العام إلا أن الأول قد أقحم كلمة لأجل الوزن فأخطأ ، وأتى بها الثاني لما تحمله ــ بالإضافة إلى هذا ــ من تلك الفائدة فأصاب .

ومن وقوع الفائدة بالكلمة التي تكون حشوا وهي قافية قول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب[٢]

يقول ابن سنان : " لما أتى على التشبيه قبل القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله : " لم يثقب " لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون" . [٣]

ــ وابن سنان الخفاجي إذ يبرز تلك الفائدة ــ وإن لم يكن هو أول من ابتكرها فإنه يستند في هذا إلى ما روي عن الأصمعي من أن أشعر الناس هو من ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى . [٤]

---

[١] الديوان : ٣٣ .

[٢] ينظر : سر الفصاحة : ١٥٤ والديوان : ٧٠ .

[٣] سر الفصاحة ١٥٥ .

[٤] ينظر : نقد الشعر لقدامه بن جعفر ١٦٨ ، الصناعتين ٤٢٣ .

وما ذكره ــ ابن سنان الخفاجي ومن سبقه [١] ومن لحقه [٢] إن نوافقهم على ما أبرزوا من تلك الفائدة إلا أنا لا نوافقهم على أن الشاعر ههنا ــ قد انقضى كلامه قبل القافية وإن المعنى قد تم بدونها [٣] ؛ ذلك أن ما ذكروه وإن انطبق على ما قالت الخنساء : في أخيها صخر : " كأنه علم في رأسه نار " ، إلا أنه لا ينطبق تمام الانطباق على ما قاله امرؤ القيس؛ذلك أن قولها: " كأنه علم " : وافٍ بالمقصود وهو المبالغة في هدايته ، وقولها : " في رأسه نار " ، زيادة المبالغة في هدايته " . [٤]

ويزداد الأمر وضوحاً عند العلوي الذي ذكر أنها : " ... لم تكتف بكونه جبلاً عالياً مشهوراً بل زادت لكثرة إيغالها في مدحه وشهرته بقولها : " في رأسه نار " لما فيه من زيادة الظهور والانكشاف ؛ لأن الجبل ظاهر فكيف إذا كان في رأسه نار ؟ والنار ظاهرة فكيف حالها إذا كانت في أعلى الجبل ؟ .. [٥]

أما بيت امرؤ القيس فإن التشبيه لا يزال ناقصا ، ولن يتحقق إلا بقوله: "لم يثقب " ، " ... فلما أردفه بقوله " لم يثقب " تأكد التشبيه ، وظهر رونقة".[٦]

ولما لم يجدوا بداً من هذا لجأوا للتوكيد[٧] تارة والتحقيق[٨] تارة أخرى اللهم إلا إذا حمل قوله : " يتم المعنى بدونها على " ... أن النكتة في الجملة لا تختص بما يتم

---

[١] انظر المرجع السابق .

[٢] ينظر : الإيضاح متن البغية ٣٥١ ، المطول ٤٩٥ .

[٣] ينظر : أسس النقد الأدبي د / أحمد بدوي ٣٥٨ .

[٤] الأطول للعصام تح د / عبد الحميد هنداوي ٨٨/٢ ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م .

[٥] الطراز للعلوي ٣ / ١٣١ ، ن : دار الكتب العلمية ــ بيروت .

[٦] السابق : ٣ / ١٣٢ .

[٧] ينظر : نقد الشعر ١٦٨ ، الصناعتين ٤٢٢ .

[٨] الإيضاح متن البغية ٣٥٠ ، المطول ٤٩٥ .

المعنى بدونه بل يجوز أن يتوقف عليها كما يتوقف على بعض الفضلات".[١]

الإيجاز المحمود نقد وموازنة :

الإيجاز المحمود هو : " إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ ، وهذا التعريف يراه أولى وأصح من تعريف الرماني والذي هو عنده : " العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ ، وذلك لأنه قد يُعبِّر عن المعنى بعبارة موجزة لكنها تكون غير موضحة له . [٢]

وبناءً على هذا فشرط حسنه هو أن يكون واضحاً جلياً لا أن يكون غامضاً خفياً ؛ ذلك أن الكلام الموجز إن لم يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو عنده قبيح مذموم . [٣]

والإيجاز عنده نوعان : حذف وقصر [٤] ؛ وابن سنان الخفاجي إذ يعرض لما جاء منه في شعر امرئ القيس فإنه لا يقف عند حد الاستحسان لما جاء على الضرب الثاني منهما دون الأول بل إنه ليتجاوز هذا إلى عقد موازنة بينه وبين ما جاء منه في شعر غيره .

---

[١] مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي تح د / خليل إبراهيم ١٦١/١ ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م .

[٢] سر الفصاحة : ٢١١ ، وينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل ، تح / محمد أحمد خلف الله ، د/ زغلول سلام ص ٧٦ ، ط : دار المعارف ، ط رابعة . .

[٣] سر الفصاحة : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

[٤] المصدر السابق: ٢٠٩ ، ٢١٠ .

وبناء على هذا فموقف ابن سنان من إيجاز امرئ القيس يتجلى في أمرين:

الأول : الوقوف عند استحسان ما استُحسن من قوله :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كزٍّ ولا وانِ[*]

بقول ابن سنان " ... جمع بقوله : " أفانين جرى " ما لو عُدّ كان كثيراً ، وأضاف إلى ذلك أوصاف الجودة في الفرس بقوله : إنه يُعطى قبل سؤاله أفانين جريه ولا يحتاج إلى حث ، ونفي عنه بقوله : غير كز ولا وان ــ أن تكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة والوني من قبل الاسترخاء والفترة ، فكان في هذا البيت جملة من وصف الفرس قد عبر بها عن معان كثيرة " . [١]

واضح من قول ابن سنان أن قول امرئ القيس من وادي الإيجاز بالقصر وإن فرسه فرس جيد ، وأنه قد ذكر من أوصاف تلك الجودة بما لا يخرج عن هذا الضرب من الإيجاز ، ودع عنك كون ما ذكره ابن سنان قد سبق به قدامه [٢] ، وإنما المهم ههنا ــ هو الكشف عن أفانين جريه والتي جمع فيها ما لو عد لكان كثيراً على حد تعبير ــ والتي تبدو ــ والله أعلم ــ في كره ، وفره ، وإقباله ، وإدباره [٣] ، وسبوحه ، وجموحه[٤] ، ومنها أنه يصب ذلك الجري والعدو صباً

---

[*] المصدر نفسه : ٢١٣ ، وينظر : الديوان ص : ١٧٤ .

[١] المصدر نفسه : ٢١٣ .

[٢] ينظر : نقد الشعر : ١٥٥ .

[٣] وذلك مفاد من قوله :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

ينظر الديوان ص : ٥٢ .

[٤] وذلك مفاد قوله :

بعد صب ويجيء به شيئاً بعد شيء[١] ، وأنه يديمه ويتابعه ويواصله ويسرع فيه إسراع خدروف الصبي[٢] ... إلى غير ذلك مما لو عد لكان كثيرا .

الثاني : الموازنة بينه وبين غيره ليكشف لنا عما أحسن فيه امرؤ القيس وما أساء فيه غيره ..

يقول ابن سنان : " ولحمد الإيجاز فضْل أحد الشاعرين على صاحبه إذا كانا قد اشتركا في معنى وأوجز أحدهما في ألفاظه أكثر من الآخر ... ومن هذا القبيل قول امرئ القيس :

إذا ما استحمت كان فيض حميمها على متنها كالجمان لدى الجالي[٣]

فالذي يريده الشاعر ههنا ــ هو : " أن الماء الذي ينفصل عن ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر " [٤] ، وموطن الحسن فيه هو أن امرأ القيس قد أتى بهذا التشبيه في بيت واحد ، وأخذه الوليد بن يزيد فأساء لأنه أتى به في بيتين فقال :

كأن الحميم على متنها إذا غرفته يأطساسها

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكد لا يد الموكل

[١] ينظر : الديوان وهامشه ص : ٥٢ ، ٥٣ .

[٢] وذلك في قوله :

درير كخدروف الوليد أمره تتابع كفيه خيط موصل

الخدروف : حصاة صغيره يجعل الصبيان فيها خيطا فيديرها على رأسه ، ينظر : الديوان وهامشه ص : ٥٥ .

[٣] سر الفصاحة : ٢١٦ ، ٢١٧ ، وينظر : ديوان امرئ القيس ، تح/ محمد ابوالفضل إبراهيم ص ٣٧٨ ، ط دار المعارف ط " رابعة .

[٤] خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٦٨.

جمـــان يجـــول علـــى فضـــة جلتـــه حدائـــد دواســـها [١]

ورغم " ... أن الوليد قد زاد في التشبيه قوله : " على فضة " لكن بـين ألفاظه وألفاظ امرئ القيس تفاوت لا يخفى " . [٢]

فإن قيل : أي تفاوت بين ألفاظه وألفاظ امرئ القيس والحميم هنـا هـو الحميم هنالك وهي التي تفيضه على متنها ــ ههنا ــ وهي التي غرفته هنالـك، والجمان هو الجمان ، بل زاد الوليد يجول على فضة مما يجعله أدخل فـي بـاب التخيل ؟ قيل :

ــ المقابل لفيض حميمها على متنها في قول امرئ القيس هو البيت الأول كله في قول الوليد بن يزيد وفرق ما بين الفيض والغرف ؛ ذلك أن الفيض فيـه دلالة على الغزارة والكثرة وكبر الحجم ، وذلك هو الملائم لتشبيهه بذلك الجمـان في الشكل واللون والقدر بخلاف الغرف بتلك الأطساس ، وهي : " الأظافر ".[٣] ، إذ لا يغترف بها إلا قليل القدر صغير الحجم حتى إنه لا يكاد يوجد، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يشبه به ؟ ولو أن الشاعر استبدل أطساسها بأطرافها فلربمـا كـان أقرب بعض الشيء إلى قول امرئ القيس من سابقه . هذه واحدة.

الثانية : ما يوحى به ذلك الشرط في جانب المشبه عند الوليـد ، وهـو قوله: "إذا غرفته بأطساسها " من أن ذلك الماء لا يكون جمانا إلا إذا غرفته بتلك الأطساس بخلاف قول امرئ القيس الذي أطلقه من ذلك القيد .

---

[١] سر الفصاحة : ٢١٧ ، وينظر : ديوان الوليد بن يزيد ، تح د / واضح الحمد . ص:٥٢ ، دار صادر بيروت ، ط أولى ١٩٩٨م .

[٢] سر الفصاحة : ٢١٧ .

[٣] ينظر : اللسان مادة " ط س س " ٢٦٧١/٤ .

الثالثة : أن جمان امرئ القيس نقي صافٍ بطبيعته بخلاف قول الوليد بن يزيد الذي يوحي بأنه لا يكون كذلك إلا إذا جلته حدائد الدواس " .[١]

ومما يؤيد هذه وسابقتها أن المقابل لقوله : " إذا غرفته بأطساسها في جانب المشبه هو قوله : " جلته حدائد دواسها " في جانب المشبه به .

الرابعة : أن قول امرئ القيس أقوى ارتباطاً بنفسية الشاعر في باب التشبيب بالنساء والتغزل بهن خاصة وأنك تشعر في قوله أن ذلك الماء المتناثر على متنها لايزال باقيا ، ولا يزال هو ينظر إليه ، وهذا إن دل فإنما يدل على أنه يتابع نظره إلى متنها من بدء حمومها بخلاف قول الوليد بن يزيد الذي يشعر بأنه ينظر إليه قرب نهايته .

حسن الاستعارة :

يقول ابن سنان : " من وضع الألفاظ في موضعها حسن الاستعارة "[٢] ، ولن يتحقق الحسن فيها إلا إذا تحقق المراد منها وهو الوضوح والبيان ... ، ولذا فهو ينقل تعريف الرماني لها ، والذي هو عنده : " .. تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة "[٣] ، شارحا له وموضحاً إياه ، وكاشفا عما يهدي إليه من تحقق هذه السمة . [٤]

وهي عنده .. على ضربين : قريب مختار ، وبعيد مطرح ، فالقريب

---

[١] الدواس : مأخوذ من : " داس السيف صقله ... والمدوس : خشبة يشد عليها سن يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه " . اللسان مادة : دوس ٢ / ١٤٥٤ .

[٢] سر الفصاحة : ١١٨ .

[٣] النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل ، ص٨٥ .

[٤] ينظر : سر الفصاحة : ١١٨ .

المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح ، والبعيد المطرح: إما لبعده مما استعير له في الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك " . [١]

وعلى الوجه القريب منها يستشهد بقول طفيل الغنوي :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل[*]

ويذكر أن استعارة هذا البيت مرضية عند جماعة العلماء بالشعر ؛ "ويعلل كونها كذلك بقوله : " ... لأن الشحم لما كان من الأشياء التي تقتات ، وكان الرحل يتخونه ويذيبه كان ذلك بمنزلة من يقتاته ، وحسنت استعارته القوت للقرب والمناسبة والشبه واضح " . [٢]

كما يستشهد ــ أيضاً ــ بقول ذي الرمة في إحدى رواياته :

أقامت به حتى ذوى العود والتوى ولف الثريا في ملاءته الفجر[*]

ويعلل : وجه حسنها فيقول : " ... لأن الفجر لما غطى الليل ببياضه وشمل الأرض عند طلوعه حسنت استعارة الملاءة لتضمنها هذا المعنى ، وعبر بطلوع الثريا وقت طلوع الفجر بأنه لفها في ملاءته وتلك أحسن عبارة وأوضح

---

[١] ينظر السابق : ١٢٠ .

[*] ديوان طفيل الغنوي ، شرح الأصمعي ، تح / حسان فلاح أبوعلى ص : ١٣٧ ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

[٢] سر الفصاحة : ١٢١ .

[*] رواية الديوان : وساق الثريا في كلاءته الجر .

ينظر : ديوان ذي الرمة بشرح الإمام أحمد الباهلي تح : د / عبد القدوس أبو صالح ٥٦١/١ ، مط طربين بدمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

استعارة . [١]

وعلى الوجه الثاني في البعد يستشهد ببيت امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

وهو عنده ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هو من الوسط بينهما" ويذكر أن بيت الغنوي وذي الرمة أحمد في الاستعارة وأشبه بالمذهب الصحيح فيها ، وذلك لأن " ... امرأ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطياً من أجل امتداده وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز والوسط والتمطي لأجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك " [٢]، ويضيف : " وهذه الاستعارة المبنية على غيرها ... لم أر أن أجعلها من أبلغ الاستعارات وأجدرها بالحمد والوصف ، وكانت استعارة طفيل وذي الرمة عندي أوفق وأصح ؛ لأنها غنية بنفسها غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها " . [٣]

تلك هي رؤية ما قال ناقدنا تجاه ما استعار شاعرنا لوصف الليل بذلك الطول من الصلب لوسط الليل ، والإعجاز لأواخره ، والكلكل لأوله ، والتي آلت جميعها إلى استعارة واحدة قد تآزرت أجزاؤها في إبراز تلك الحالة ، والتي حكم فيها بسبب ذلك البناء على تلك الاستعارة بأمرين :

الأول : البعد والضعف والتوسط بين الجودة والرداءة وأن الحسن لا يتحقق فيها إلا إذا بنيت إحداهما على الأخرى .

---

[١] سر الفصاحة : ١٢٢ ، وينظر : الديوان ص : ٤٨ .

[٢] سر الفصاحة بتصرف ص ١٢٣ .

[٣] المصدر السابق : ص ١٢٣ .

الثاني : أبلغية استعارة الغنوي وذي الرمة لكونها أشبه بالمذهب الصحيح فيها وهو الذي تكون فيه الاستعارة غنية بنفسها غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتهـا على حد تعبيره .

هذا ولم نجد أحداً من السابقين عليه أو المعاصرين له أو اللاحقين به قد ذهب في تلك الاستعارة ذلك المذهب :

ــ فهي عند الآمدي : في غاية الحسن والجودة والصحة .. لملاءمة معناها لمعنى ما استعيرت له . [١]

ــ وعند الإمام عبد القاهر هو : أي : الجمع ــ ذلك الأصل الذي حازت به ذلك الشرف ونالت به تلك الفضيلة . [٢]

ــ وعند الخطيب[٣] ومن تبعه[٤] هو الذي ارتقى بها من العامي المبتذل إلى الخاص النادر . وعلى هذا تبدو مخالفة ابن سنان لما ذكره البلاغيون فيها ، ومن ثم فهو جدير بأن يعقب عليه أو يُرد ــ من خلال القاعدة والنص بما يلي:

أولاً : أن ابن سنان قد ناقض نفسه في تناوله لتلك الاستعارة[٥] ، فبينما يذكر في صدر حديثه عنها أنها من البعيد المطرح ، وأنها تضعف لذلك يعود فيذكر أنها من المتوسط بين الجيد والرديء وأن بعضها يحسن من أجل بعض ، وذلك خلط بينٌ واضطراب واضح .

ثانياً : أن ابن سنان قد ناقض نفسه ــ أيضاً ــ ، ومبني ذلك على ما يفهم مما ذكر في حدّ القريب المختار منها ، وما حمله من قول امرئ القيس على

---

[١] ينظر : الموازنة ١ / ٢٦٦ .

[٢] ينظر : دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهرة تح / الشيخ محمود شاكر ص:٧٩ ، ن : مكتبة الخانجي ، ط : ثانية ١٤١٠ ــ ١٩٨٩م .

[٣] ينظر : الإيضاح للخطيب متن البغية ص : تح الشيخ عبد المتعال الصعيدي ٣ / ٤٩٧ ن : مكتبة الآداب ، ط أولى ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م .

[٤] ينظر : المطول : ٥٩٢ ، عروس الأفراح بهاء الدين السبكي . تح د / خليل إبراهيم ٢٦٩/٣ ، ٢٧٠ ، دار الكتب العلمية بيروت .

[٥] ينظر : المثل السائر لابن الأثير : ٢ / ١١٢ .

الوجه الثاني من البعد فيها :

بيان هذا أن هذه الاستعارة وإن بعدت بسبب ذلك الجمع ــ كما ذكر ــ إلا أن التناسب فيها قوي والشبه واضح ... ؛ ذلك أن الشاعر لو اقتصر على قوله : " فقلت له لما تمطي يصلبه " ، وأضاف إليه : " ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي" ، وطرح : " وأردف أعجاز وناء بكلكل " . فماذا كان عليه أن يقول ؟ " إنه لا يجد بداً عن أن يقول : " لما جعل لليل وسطا يمتد استعار له الصلب وجعله متمطياً من أجل امتداده وكفى ...

وإذا ما قورن هذا بما فضله عليه من قول الغنوي وذي الرمة واستحسنه أيجد فرقا بين ما هو على فرض أن يذكره هنا وبين ما ذكره هنالك ؟ [١]

الجواب بالطبع لا ، وبناء عليه فهل هي من القريب المختار أو من البعيد المطرح ؟ الجواب بناء على ما ذكر إن بعدت من وجه فقد قربت من آخر ..

ثالثاً : إذا ما أضيف إلى هذا أن أحداً من السابقين عليه لم يذكر من أسس العمود الشعري عند العرب ما حمل عليه قول امرئ القيس في ذلك البعد ، وكان المذكور هو : " مناسبة المستعار منه للمستعار له " [٢] ، وهو الموافق لما ذكره في جانب القرب والذي إذا ما خولف كان معيباً ، أفيكون قول امرئ القيس أشبه بالمذهب الصحيح فيها أو الفاسد ؟١

إذا كان ذلك كذلك فلا وجه لما ذكره بقوله : " ... وهذه الاستعارة المبنية

---

[١] البحث : ص ٣٣ وما بعدها.

[٢] ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تح : أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، المجلد الأول . القسم الأول ص: ٩ ، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوي ص: ٤١ ، عيسى الحلبي ، الموازنة ١ / ٢٦٦ .

على غيرها لم أر أن أجعلها من أبلغ الاستعارات وأجدرها بالحمد والوصف .. "[١] كما أنه لا وجه لما ذكره ــ أيضا ــ من أن استعارة طفيل وذي الرمة عندي أوفق وأصح لأنها غنية بنفسها غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها " .[٢]

رابعاً : أنه ليس كل موطن يجمع فيه بين استعارات عدة تكون الاستعارة فيه ضعيفة فإنه قد يجمع بين استعارتين في أسلوب واحد وتكون في غاية القوة .

ولا أدل على ذلك من قوله ــ تعالى ــ : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٣] فقد استعيرت الإذاقة للإصابة ، واللباس لما يشتمل عليهم من ألم الجوع والخوف من امتقاع اللون واصفرار الوجه ، وذلك ليجمع لهم بين شموله عليهم وشدة تأثيره بهم[٤] ... ، وبناء عليه فلولا استعارة الإذاقة للإصابة لما ساغ استعارة اللباس للاشتمال ، ولولا استعارة اللباس للاشتمال لما ساغ استعارة الإذاقة لشدة الإصابة وبناءً على هذا فإذا ما حسنت كل واحدة منها بحسن موقعها ــ وهي كذلك ــ فإن مجموعها مما يزيدها حسنا على حسن ، وما ههنا ــ أيضاً ــ كذلك " ... فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز ، والعجز والتمطي لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك " ، وهذا ما يتفق وما جاء عليه قول الشاعر والذي قصد وصف ليله بذلك الطول ، وأنه طول مشعر بالثقل كما هو حال المهموم وصاغ كل جزء من أجزاء بيته وفق ما أحس من حال ليله وقد تأزرت جميعها في إبراز تلك الحال : " .. فاستعار له صلباً يتمطى به إذ كان

---

[١] سر الفصاحة : ١٢٣ .

[٢] السابق: ١٢٣ .

[٣] النحل : ١١٢ ، وينظر : المثل السائر ٢ / ١١٣ .

[٤] ينظر : الكشاف للزمخشري : تحقيق مصطفى حسين أحمد ٤١٨/٣ ، ط الاستقامة بالقاهرة، ط : الثانية ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيئاً ، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً رادفة للوسط ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به أي يثقل به "[١] ، " وراعي ما يراه الناظر من سواده إذا نظر أمامه وإذا نظر من خلفه ، وإذا مد بصره ورفعه في عرض الجو " . [٢]

وبناء عليه فإن هذه الاستعارة في غاية الحسن والجودة والصحة لملاءمة معناها لمعنى ما استعيرت له كما يقول الآمدي[٣] ، وليست من البعيد المطرح أو المتوسط بين الجيد والرديء كما يقول ابن سنان .

الكناية الحسنة والإرداف :

الكناية عند الخطيب : " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " . [٤]

والإرداف عند قدامه : " أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دل التابع أبان عن المتبوع " . [٥]

والأرداف الذي ذكر ، قدامة وتناقله عنه الدارسون هو الذي سماه عبد القاهر: بالكناية . [٦]

وههنا سؤال يطرح نفسه فيقول : إذا كانت الكناية بمعنى الإرداف

---

[١] الإيضاح بمتن البغية ٤٩٧ .

[٢] الدلائل : ٧٩ .

[٣] الموازنة : ١ / ٢٦٦ .

[٤] بغية الإيضاح ٣ / ٥٣٨ .

[٥] نقد الشعر ١٥٧ .

[٦] التصوير البياني أ . د / محمد أبو موسى ٤١٨ ، ٤١٩ . مكتبة وهبه ، ط : السابعة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ، وينظر الصناعتين : ٤٠٧ .

والإرداف بمعنى الكناية فماذا كانت تعني قبل إجراء عبد القاهر حد الإرداف عليها؟ والجواب : " أنها كانت ترد في كلام البلاغيين بمدلول أقرب إلى مدلولها اللغوي كقول أبى هلال في حدها " هو أن يكنى عن الشيء ويعرض ولا يصرح".[١]

هذا وإذا تأملنا ما ذكره قدامة في تعريفها وما ذكره الخطيب فإنا نجد بينهما توافقًا ما ففي أحدهما تابع ومتبوع ، وفي الآخر لازم وملزوم ، والفرق هو أن الخطيب اصطنع كلمة اللزوم وهي أقرب إلى المصطلح المنطقي والأصولي بينما قدامه اصطنع كلمة الرادف والتابع وهي أقرب إلى المصطلح اللغوي والبياني وقد التزمه الذين تأثروا بقدامة وهم كثير منهم أبو هلال وابن رشيق وعبد القاهر وابن سنان ، وابن أبى الأصبع كلهم يذكر الرادف والتابع ولم يعدلوا إلى الملزوم واللازم وإنما فعل ذلك السكاكي والخطيب ومن قفاهم " .[٢]

والذي يعنينا بعد هذه التقدمة هو موقف ابن سنان من كنايات وإرداف امرئ القيس :

---

[١] انظر المرجع السابق .

[٢] التصوير البياني ٤١٨ ، ٤١٩ ، وينظر : الصناعتين ٣٨٥ ، العمدة ٣١٣/١ ، دلائل الإعجاز ٦٦ ، سر الفصاحة : ٢٢٩ ، تحرير الجبير لابن أبى الأصبع المصري ، تح د/ حفني شرف ٢٠٧ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مفتاح العلوم للسكاكي ، تح : نعيم زرزور ، ص: ٤٠٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م . بغية الإيضاح ٥٣٨/٣ ، المطول ٦٣٠ ، عروس الإفراح بهاء الدين السبكي تح: د/ خليل إبراهيم ١٠٨/١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، حاشية الدسوقي ، تح د / خليل إبراهيم ٣ / ٩٨ ، دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ، الأطول للعصام ٢ / ٣٤٢ ، مواهب الفتاح ٤٣٩/٢ .

أولاً : الكناية :

من وضع الألفاظ مواضعها ــ عند ابن سنان ــ : " حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح " .[١]

وابن سنان الخفاجي إذ يعرض بهذا فإنه لا يقف عند حد الاستحسان لما جاء منه في شعر امرئ القيس ، بل إنه ليتجاوز هذا إلى الموازنة ليفصح لنا عن قبح ما جاء في شعر غيره مما هو إلى التصريح بالفحش أميل ...

يقول : " ومما يستحسن من الكنايات قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال[*]

وأضاد هذا من قبح العبارات قول الآخر :

تعطين من رجليك ما تعطى الأكف من الرغاب [**]

وقول الرضي يرثي والدته :

كأن ارتكافي في حشاك مسببا ركض الغليل عليك في أحشائي[***]

وذلك أن امرأ القيس عبر عما يجب أن يكنى عنه من المباضعة فكنى بأحسن كناية ، وهذان عبرا عما لا يجب أن يكنى عنه فأتيا بألفاظا يجب أن يكنى عنها "[٢] انتهى كلام ابن سنان .

---

[١] سر الفصاحة : ١٦٣ ، ديوان امرئ القيس ص : ٣٢ .

[*] الديوان ص : ٣٢ .

[**] ينظر : البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدي ٤٠/٥ دار صادر بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ربيع الأبرار للزمخشري ١ / ٤٥٣ من دون .

[***] ديوان الشريف الرضي ١ / ٣ ، دار صادر بيروت .

[٢] سر الفصاحة : ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

ومن هذا العرض يتبين أن ههنا ثلاث كنايات أولاهـا حسـنة وثانيتهـا وثالثتها قبيحة :

أما الأولى فهي في قول امرئ القيس السالف الذكر والذي لم يصرح فيه بذكر " المباضعة " بل كنى عنها بأحسن ما يكون من العبارة على حـد تعبيـره ، وذلك في قوله :

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنـا ..... البيـت

وبناءً على هذا فموطن الحسن ــ ههنا ــ يكمن في أن الشاعر قـد لـف ذلك المعنى ــ وهو المباضعة ــ بغلاف شفاف يداريه ، ولا يحجبه وينأى به عن التصريح[١] الذي يبعث في النفس ــ بالإضافة إلى هذا ــ داعي التطلع إلى ما يثير الغريزة والشهوة .

وأما الثانية فهي في قول الشـاعر الـذي يمـدح زبيـدة بنـت جعفـر المنصور:[٢]

" تعطين من رجليك ... . " البيت

وموطن القبح ــ ههنا ــ يتمثل في أن هذا القول وإن كان كناية عن وافر كرمها وسعة عطائها ويسر ذلك وسهولته إلا أن ذكر الرجلين في المرأة عيـب، وذلك لانصراف الذهن إلى ما يجب أن يكنى عنه من فاحش فعلها ، عند مواقعتها وليس ذلك بمراد ، وبناء عليه فلو أن الشاعر ههنا قال : "تعطين من يديك " لما

---

[١] ينظر : نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي د / عبد السلام عبد الحفيظ ص٣٧٤ ، ن: دار الفكر العربي .

[٢] ينظر : البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدي ٤/٥ ، ربيع الأبرار للزمخشري ٤٥٣/١ من دون .

كان له عليه في ذلك مأخذ ، والدليل على ذلك أن الشعراء والغلمان لما سمعوا هذا القول بادروا ليوقعوا به فقالت كفوا عنه فإنه أراد خيراً فأخطأ ، ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب " . [١]

وأما الثالثة : القبيحة فهي في قول الشريف الرضي : " ركض الغليل عليك في أحشائي " ، وما في ذلك الركض من الدلالة على التحريك والدفع بشدة[٢] ، ومما يوحي به من الكناية عن التحريك الشديد عند الجماع ، وذلك مما يستقبح ذكره ، لاسيما إذا كان الركض ركض غليل ، فضلاً عن كونه ركض غليل على الأم ، وليس هذا بمراد ، بل المراد هو التعبير عن حرارة حزنه تجاه أمه ، وبناء عليه فلو أن الشاعر قال :

كأن ارتكاضي في حشاك مسبباً ركض الغليل عليَّ في أحشائي

لما كان عليه في ذلك مأخذ لتبادر الذهن في ذلك إلى تشبيه ركضه إياها بركض عدو يريد أن يشفي غليله من عدوه .

وذلك فيما أحسب ــ هو المراد بقول ابن سنان : " ... وهذان عبّرا عما لا يجب أن يكنى عنه فأتيا بألفاظ يجب أن يكنى عنها " . [٣]

أما الأول : فهو يريد أن يعبر عن وافر كرمها وسعة عطائها وذلك مما يكون باليدين وهو مما لا يجب أن يكنى عنه بذلك الأسلوب فأتى بلفظ " الرجلين " وذلك مما يجب أن يكنى عنه .

وأما الثاني : فهو يريد أن يعبر عن حرارة حزنه تجاه أمه فأبرزه في ذلك

---

[١] ينظر : السابق .

[٢] ينظر : اللسان مادة ركض ٣ / ١٧١٨ ، ١٩١٧ .

[٣] سر الفصاحة : ١٦٦ .

التحريك العنيف وهذا مما لا يجب أن يكنى عنه بذلك الأسلوب فجعله لتحريك غليل عليها ، وذلك مما يجب أن يكنى عنه ــ

ولقد كان من المنتظر من ابن سنان الذي استحسن قول امرئ القيس السالف الذكر أن يستقبح منه قوله ــ أيضاً ــ في الكناية عن المواقعة :

إذا بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول[*]

على نحو ما استقبح من قول أبى الطيب :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

ولكنه لم يفعل[١] [*]، وإذا كان ذلك كذلك فهل هذا يعني أن امرأ القيس يكون محسنا في كل موطن يعبر فيه عما يجب أن يكنى عنه من تلك المباضعة من وجهة نظر ابن سنان ؟

الجواب بالطبع لا ، وذلك لسببين :

الأول : أن ابن سنان لم يستقص كل ما جاء منه في شعر امرئ القيس ولو استقصاه لكان حكمه باستقباح ما استقبح على نحو حكمه باستحسان ما استحسن.

---

[*] ينظر الديوان ص : ٣٦ .

[١] ينظر : سر الفصاحة : ١٦٥ .

[*] وموطن القبح يتمثل ههنا ــ في أن الشاعر لم يرغب بذكر لفظ السراويل عما يستقبح ذكره ، ... وبناء عليه فهو إن كان كناية عن النزاهة والعفة كما يقول ابن الأثير إلا أن الفجور أحسن منها .

المثل السائر ٣ / ٧١ ، وينظر : الكناية والتعريض لأبى منصور الثعالبي ، تح د / عائشة حسين فريد ، ص: ٢٠ ، دار قباء للطباعة والنشر .

الثاني : أن ابن سنان لم يرد أن يقصر ذلك الحسن أو القبح في التعبير على شاعر بعينه : وإنما يريد أن يقرر غرضا ويضع سبباً من أسباب حسنها وهو : التعبير عن المعنى بذلك الأسلوب في الموطن الذي لا يحسن فيه التصريح

ثانياً : الإرداف :

من نعوت البلاغة والفصاحة عند ابن سنان الإرداف ، وهو : " أن تراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة ، بل يؤتي بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع ".[١]

" والأصل في حسن هذا أنه يقع فيه من المبالغة في الوصف مالا يكون في نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى "[٢] ، وقد أبان ابن سنان الخفاجي عن ذلك في موضعين عند امرئ القيس :

الأول في قوله :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفصل[*]

يقول : " ... لما أراد أن يصف ترفه هذه المرأة ونعمتها ، قال : " نؤوم الضحى " يبقى فتيت المسك فوق فراشها لم تنتطق لتخدم نفسها فعبر بذلك عن غناها وترفعها وحفض عيشها وأتى بألفاظ تدل على ذلك أبلغ ما يدل عليه قوله إنها غنية مترفة ".[٣]

الثاني في قوله :

---

[١] سر الفصاحة : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

[٢] ينظر السابق .

[*] سر الفصاحة : ٢٣٠ ، وينظر : الديوان ص : ٤٥ .

[٣] سر الفصاحة : ٢٣٠ .

وقد اغتدى والطير في وكناتها يمنجرد قيد الأدابد هيكل[*]

يقول : " أراد أي امرؤ القيس ــ أن يصف الفرس بالسرعة فلم يقل إنه سريع وقال : "قيد الأوابد " وهي الوحوش . أي أنه إذا طلبها على هذا الفرس لحقها لسرعته فكأنه قيد لها . وفي هذا من المبالغة ما ليس في وصف الفرس بأنه سريع ؛ لأن الفرس قد يكون سريعاً ولا يلحق الوحش حتى تصير بمنزلة المقيدة له " . [١]

ويلاحظ على ما ذكر ابن سنان الخفاجي ــ ههنا ــ أمران :

الأول : الإفصاح عن مضمون ذلك الفن وحده في ضوء ما استشهد من قول امرئ القيس .

الثاني : الإبانة عن وجه المبالغة فيه والسبب الذي كان من أجله أبلغ"

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه أن ابن سنان الخفاجي وإن لم يقتصر في هذا وسابقه على ما استشهد من قول امرئ القيس إلا أن دورنا قدنا تجاه ما قال شاعرنا لا يقف عند حد الإفصاح عن مضمون ذلك الفن وحده على نحو ما سبق به قدامه[٢] بل إنه ليتجاوز هذا إلى النص على ما فيه من المبالغة حينا وإلى الكشف عن جهتها حيناً آخر .

وهذا ما ركز عليه في جل ما استشهد وعقب عليه بقوله : " وأصحاب صناعة البلاغة يذكرون الإرداف ولا يشرحون العلة في سببه وحسنه من المبالغة

---

[*] سر الفصاحة : ٢٣٠ ، وينظر : الديوان ص : ٥١ .

[١] سر الفصاحة : ٢٣٠ .

[٢] ينظر : نقد الشعر ١٥٨ .

التي نبهنا عليها " .[١]

ورغم هذا لم يفصح لنا عن سبب ذلك الحسن في وصف تلك المرأة ، "تؤوم الضحى " وسر إيثاره على التعبير بذلك اللفظ الصريح على نحو ما أفصح عنه في وصف الفرس ، فلم يقل مثلا : فقد تكون المرأة مرفهة لكنها لا تنام إلى الضحى وإن كان هذا على غير عادة نساء العرب في تلك الصفة ، وكل الذي اكتفى به هو أن هذا التعبير أبلغ من قوله " إنها غنية مترفة " .

كذلك ــ أيضاً ــ لم يفصح لنا عن جانب التأثير في التعبير بذلك الإرداف في موطن اللفظ الصريح والذي ترى فيه المعنى المقصود مختبئاً وراء المعنى الملفوظ شأنه في ذلك شأن سابقه قدامه الذي " ... لم يبين لماذا يعدل الشاعر عن وصفها بالترف والثروة هكذا من غير واسطة إلى هذا الأسلوب..."[٢] وقد أبان عنه ابن أبى الأصبع في تحرير التحبير حيث ذكر أن هذه الكناية " .. لا تفيد فقط صفة الترف وإنها مخدومة ، وإنما يضيف أنها تفيد ــ أيضاً ــ " دقة البشرة واقتبال الشباب " وكثرة الحظوة ، وعظم الثروة ، وأنها غير شظفة ولا ممتهنة " ويستشف من قوله : " وتضحى فتيت المسك فوق فراشها " أنها حظية عند الرجال المثرين ، وأنهم في غاية الميل إليها ، ومع القدرة بالثروة على الاستكثار من حرائر النساء ومن الإماء إما لإفراط جمالها أو لسعد حدها ، وأنها ممن يسمح له بأغلى الطيب وأعلاه بما يبقى فتيته في صبيحة كل ليلة على فراشها بعدما يتصعد منه ويلصق بجمسها ، وما يعلق بشعرها وبشرتها ..

وينتقل إلى أفق ثان يلتقط فيه دلالات حول التعبير ، فيرى أن فيها غير ما

---

[١] سر الفصاحة : ٢٣١ .

[٢] التصوير البياني : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وينظر : نقد الشعر : ١٥٧ .

ذكر دلالة على كثرة النوم الذي لا يكون إلا عن غلبة الدم الطبيعي في سن النوم، وطبيعة الدم حارة رطبة ، وهي طبع الحياة ومادتها فيكون اللون بـــه مشـــرقا ، والماء في الوجه كثيرا ، والأخلاق حسنة لأجل اعتدال المزاج ، ولو تـــرك لفـــظ الإرداف وعبر عما قصده باللفظ الخاص وهو قوله : " إنها مخدومة " لم تحصـــل هذه المعاني التي حصلت بلفظ الإرداف " . [١]

١ ـ التصريع :

التصريع كما يقول قدامة : " أن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول فـــي البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها "[٢] ، ولا يقصد إليه إلا الفحول من الشعراء والمجيد منهم ولا يكادون يعدلون عنه ... [٣]

وذلك إنما يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره ويفهم قبـــل تمام البيت روى القصيدة وقامتها . [٤]

وليس معنى هذا إذا جاء في أثناء القصيدة يكون معيباً ، بل يكـــون مـــن اقتدار الشاعر وسعة بحره كما يقول قدامة [٥] ، أو يكون فيه دليل على قوة الطبع وغزارة المادة كما يقول ابن رشيق . [٦]

هذا الفن البديعي له شرط في ذلك الحسن عند بن سنان هو : ألا يتكـــرر

---

[١] التصوير البياني : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وينظر : تحرير التحبير ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .

[٢] نقد الشعر : ٨٦ .

[٣] ينظر السابق .

[٤] سر الفصاحة : ١٨٨ .

[٥] نقد الشعر : ٨٦ .

[٦] العمدة : ١ / ١٧٤ .

كثيرا في القصيدة ، ذلك أنه إذا كثر وتكرر فإن ذلك عنده ليس بمرض[١] .. وذلك لما فيه من الدلالة على التكلف كما يقول ابن رشيق .. [٢]

هذا اللون " ... قد استعمله المتقدمون والمحدثون في أول القصيدة وممن كان يلهج به من المتقدمين امرؤ القيس فإنه صرّع في أول اقصيدته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .....

ثم قال من بعد :

ألا أيها الليل الطويل انجلـــي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقال فيها :

أفاطم مهلاً بعض هذا التـــدلل وإن كنت قد ازمعت هجري فاجملي[*]

وقال في التي أولها :

الاعم صباحاً أيها الطلل البـــالي وهل يعمن من كان في العصر الخـــالي

ديار لسلمى عافيات بذي الحـــال ألـــح عليهـــا كـــل اســـحم هطـــال

ألا إنني بالٍ علـــى جمـــل بـــالِ يقـــود بنـــا بـــالٍ ويتبعنـــا بـــالِ[*]

انتهى كلام ابن سنان[٣] ويلاحظ على ما ذكره ما يلي :ــ

---

[١] سر الفصاحة : ١٨٩ .

[٢] العمدة : ١ / ١٧٤ ، وينظر المثل السائر ١ / ٢٥٩ .

[*] ينظر : الديوان : ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٩ .

[*] الديوان : ١٣٩ .

[٣] سر الفصاحة : ١٨٨ ، ١٨٩ .

أولاً : أن ما ذكره ابن سنان واستشهد به على حسن ذلك الفن من قول امرئ القيس قد سبقه إليه قدامة بن جعفر . [١]

ثانياً : أن ما ذكره ابن سنان من أنه إنما يحسن في أول القصائد ... إلخ قد تأثر به ابن أبى الأصبع في تحرير التحبير. [٢]

ثالثاً : كان من المنتظر من ابن سنان أن يفصح لنا عن مضمون ذلك الحسن فيما استشهد به من قول امرئ القيس ولكنه لم يفعل ، خاصة وأن ما استدل به على تقرير قاعدته من قوله : " قفا نبك " لم يختلف على استحسانه سابق عليه ولا له حق به ، ذلك أن الشاعر ــ ههنا ــ كما يقول أبو هلال : "...وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر المنزل والحبيب في نصف بيت "[٣] ، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى انفعال الشاعر وسيطرة ذكرياته عليه حتى أنسته كل شيء ماعدا تحقيق ذلك الأمر من جميع الرفاق " [٤] .

أما المصراع الثاني فهو وإن كان أقل من سابقه بناءً على أن الشاعر لم يذكر فيه سوى التحديد لهذا المكان الذي يبكيه إلا أنه هو الآخر لا يخلو من حسن وذلك بناء على ما تثيره تلك الأماكن في نفس الشاعر من انفعالات وما له فيها من ذكريات يفيض بها قلبه ووجدانه ، فكثيرا ما كان له فيها من لقاء أو انتظار أو سعادة أو ألم ، وإن الذكريات لتربط بالأماكن ارتباطا وثيقا ، وعليه فقد حرص الشاعر حرصاً شديداً على تحديد منزل حبيبته وذلك لأن قلبه شديد التلفت إلى هذه الأماكن شديد الحنين إليها موصول بها . وهذا مما يخفف من قوة النقد الموجه

---

[١] نقد الشعر : ٨٦ ، ٨٧ .

[٢] ينظر : تحرير التحبير ص ٣٠٥ .

[٣] الصناعتين : ٤٩١ ، ٤٩٢ .

[٤] علم المعاني د/ بسيوني فيود ٢٩٢.

إلى الشطر الثاني من مطلع امرئ القيس . [١]

ورغم هذا فإن ابن الأثير يعدُّه في المرتبة الثانية من ذلك الفن ويطلق عليه التصريع المستقل ، وهو الذي يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه صار مرتبطا به كقول امرئ القيس: ... البيت . [٢]

أما البيت الثاني فهو من التصريع المعلق[٣] ، وهو من التصريع المعيب ، بل ومن المعيب جداً كما يقول ابن الأثير ؛ ذلك أن قول الشاعر : " ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي " معلق على قوله " " بصبح " . [٤]

والذي أراه أني لا أجد في ذلك التعلق عيباً ، وذلك فيما أحسب ــ لما يشعر به من ذلك الترابط النفسي بين الليل والشاعر، أما الأول ففي جلاء ظلامه ، وأما الثاني ففي ذهاب همومه ، وهذا مالا يتحقق إلا بقوله " بصبح " .

بيدا أن هذا وإن كان يكفي في الدلالة عليه قوله : " ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي " وأن ذلك الانجلاء لا يكون إلا بصبح وفق مراد الشاعر إلا أن في النص عليه إشارة إلى طلب زمن مغاير لما هو فيه ، ورغم أنه ــ أي الصبح ــ والليل سواء في تثاقل همومه وأحزانه إلا أن في طلب تغيير ذلك الزمن بذلك الصبح راحة على كل حال . [٥]

---

[١] ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٣٠٥ .

[٢] ينظر : المثل السائر ١ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

[٣] التصريع المعلق هو أن يذكر المصراع الأول ويكون معلقا على صفةٍ يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني ينظر : المثل السائر ١ / ٢٦١ .

[٤] السابق : ١ / ٢٦١ .

[٥] ينظر : علم المعاني د / بسيوني فيود : ٢٩١ ، ن : مؤسسة المختار .

وههنا أمر ينبغي التنبيه عليه ، وهو أنه لِمَ عيب ههنا وحسن هنالك رغم أن وقوفه وبكاءه كان بذلك المكان وهو سقط اللوى ، وذهاب همومه بجلاء ليله إنما كان بذكر ذلك الزمان وهو قوله : " بصبح " على نحو ما ذكر ابن الأثير فيما سبق ؟ وبناء عليه أفلا يكون المصراع الأول ــ ههنا مستقلاً في إفادة المعنى فلما ذكر قوله : " بصبح " صار مرتبطا به على نحو سابقه ، إذاً فما الفرق بين الحالتين ؟

ويجاب عن ذلك أن الوقوف والبكاء وإن أمكن حدوثه في غير ذلك المكان لكن تحققه فيه مما يزيد في ذلك الوجد أما الثاني فلا يتحقق إلا بقوله : "بصبح" إذ لو لم يكن كذلك لأوهم قبل تمام ذلك التعلق أن الشاعر ههنا إنما يطلب جلاء الليل مما به من تلك الغيوم ــ مثلا ــ كي يتمكن من السير فيه .

أما قوله : " أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... " البيت ، فذلك ما أراه من التصريع الكامل ــ على نحو ما ذكره ابن الأثير ، وهو الذي يكون فيه كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه[١] ، وما ههنا ــ أيضا ــ كذلك ؛ ذلك أن امرأ القيس يريد من فاطمة في مصراعه الأول أن تتدلل بعض التدلل ولا تسرف فيه ، ذلك أن بعض التدلل يزين المرأة ويثير الرجل وأن الإسراف فيه قد يشيع في جوانبه اليأس ويصرفه عن هواها إلى أخرى[٢]، أما المصراع الثاني من البيت فهو يطلب منها أن يتجمل في الهجر عند إرادة العزم عليه . وذلك فيما أحسب ــ هو الذي حدا بالعلوى إلى أن يجعله في أولى درجات التصريع ، بل وفي أعلى مراتبه ، وما ذلك إلا لأن الشاعر ههنا قد

---

[١] المثل السائر ١ / ٢٥٩ .

[٢] ينظر : امرؤ القيس حياته وشعره د / الطاهر أحمد مكي ط : دار المعارف ، ط رابعة ١٩٧٩م .

جعل كل مصراع من مصراعي البيت مفهوم المعنى من غير حاجة إلى الآخر . [١]

٢ ـ الترصيع :

" ... من التناسب ــ أيضاً ــ الترصيع ، وهو أن يعتمد تصييـر مقـاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعه " . [٢]

وشرط حسنه أن يقع قليلاً غير نافر ، أما إذا توالى وتكرر فإنه لا يحسن؛ لأنه يدل على التكلف وشدة التصنع . [٣]

وابن سنان الخفاجي إذ يعرض لما جاء منه في شعر امرئ القيس فإنـه يستحسن منه قوله :

فتـور القيـام قطيـع الكـلا م تفتُّر عن ذي غروب خصـر[٤]

يقول ابن سنان : " ... فهذا وأمثاله إذا كان قدرأ يسيراً حسن علـى مـا ذكرناه ، فأما إذا توالى وتكرر فإنه يقبح لدلالته على التكلف " . [٥]

وما استحسنه ابن سنان من قول امرئ القيس وما ذكره في شرط حسنه وإن كان قد سبقه إليه أبو هلال العسكري[٦] إلا أن ذكره له ــ أيضا ــ على نحو ما سبق به مما يدل على أنه ارتضاه ، وهذا ممالا غبار عليه ، وإنما الذي ينبغي أن يعول عليه ــ ههنا ــ أمران :

---

[١] الطراز ٣ / ٣٣ ، ٣٤.

[٢] سر الفصاحة : ١٩٠ .

[٣] ينظر السابق .

[٤] السابق ، وينظر الديوان ص : ١١٠ .

[٥] سر الفصاحة : ١٩١ .

[٦] ينظر الصناعتين : ٤١٦ .

الأول : ماذا يعني بهذا التوالي وذاك التكرار الذي يؤدي إلى ذلك القبح؟

الثاني : ما مضمون ذلك الحسن في قول امرئ القيس ؟

ويجاب عن ذلك بما يلي :

أما الأول : فإن المراد بالتوالي والتكرار هو ما جاء منه في أكثر من بيتين ، بدليل أنه قد تكرر في قول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـدي الطريقة نفاع وضرار

جوّاب قاصية جراد ناصية عقاد ألوية للخيل جرار

ومع ذلك لم يستقبحه . (١)

وبناء عليه فإن ما تكرر منه من قول امرئ القيس أثر قوله السالف الذكر:

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر(*)

إن لم يذكره ليس بمستقبح ، بل المستقبح عنده ما جاء في أكثر من بيتين وإن كان كل واحد منها بانفراده جيداً على حد تعبيره . (٢)

---

(١) ينظر : سر الفصاحة : ١٩٠ ، ديوان الخنساء شرح ثعلب ، تح د/ أنور سويلم ، ن : دار عمار ط : أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

(*) ينظر : الديوان : ١١٠ .

(٢) وذلك مثل قول أبى صخر الهذلي :

عذب مقبلها خدل مخلجها كالدعص أسفلها محصورة القدم

سود ذوائبها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت على الكرم

عبل مقيدها حال مقلدها بض مجردها لقاء في عمم

سمح خلائقها ذرم موافقها يروى معاتقها من بارد شبم

على أن لذلك الحسن وجها آخر ، وذلك عندما يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره مثل ما يقابله في القرينة الأخرى وزناً وتقفيه ... [١]

وما ههنا ــ أيضا ــ كذلك ، فقوله : " فتور القيام " قرينة ذات سجعة ، وقوله : " قطيع الكلام " ، قرينة ذات سجعة أيضا ــ كذلك ، وهي مساوية لسابقتها وزناً وتقفية ، وقوله : " تفتر عن ذي غروب ، حضر ، قرينة ذات سجعة أيضا ــ بيد أنها وإن طالت عن سابقتها إلا أنها أيضا ــ لا تخلو من حسن .

وأما ثانيا : فإن مضمون ذلك الحسن في ذلك التساوي بين تلك القرائن والذي يبدو والله أعلم في ذلك التناسق بين تلك المقاطع والتي تجمع بين قلة وثبها لثقل أردافها كما هو مفاد قوله : " فتور القيام " وقلة كلامها لشدة حيائها كما هو مفاد قوله : " قطع الكلام " ، وقلة تيسرها كما هو مفاد قوله : " تفتر عن ذي غروب حضر " ، والذي لم يكن هو وسابقه داعياً له إلى بغضه لها أو انصرافه عنها ، بل داعياً له إلى إقباله عليها ووصفه إياها بما يكشف لنا عن مدى ما يجذبه إليها من ناحية ، وما يعانيه ويكابده في نيله لها أو قربه منها من ناحية أخرى .

يقول : فهذا لم توالي لم يحسن والعلة في ذلك ما ذكرناه .

سر الفصاحة ١٩١ وينظر : شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري ، تح / عبدالستار أحمد فراج ص ٩٦٨ ، ٩٦٩ مطبعة المدني بالقاهرة .

[١] ينظر : بغية الإيضاح : ٦٥٤ .

ثالثاً : نقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء أسرار فصاحة المعاني المفردة

صحة التشبيه :

من صحة المعاني : " صحة التشبيه . وهو أن يقال : أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات " . [١]

ومرجع الحسن في تلك المماثلة لما يلي :

ـ منه ما يرجع إلى المعنى أو الوصف الذي يشترك فيه كل من الطرفين، والذي لاشك فيه أنه كلما كان الاشتراك أكثر كان التشبيه أحسن .

يقول ابن سنان : " ... وإنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه ... " [٢] ، ومبني ذلك عنده على أن : "أحد الشيئين لا يكون مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتة ؛ لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال " . [٣]

ـ ومنه ما يرجع إلى ما يكون منه بغير أداة ، " ... ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز " . [٤]

ـ ومنه ما يرجع إلى ما يمثل فيه الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر

---

[١] سر الفصاحة : ٢٤٦ .

[٢] السابق .

[٣] السابق .

[٤] السابق .

المحسوس المعتاد ، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان اطراده.[١]

ـ ومنه ما يرجع إلى ما يمثل فيه الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة . [٢]

وبناءً على هذا فابن سنان الخفاجي لم يعرض للتشبيه من جهة تقسيمه إلى مفرد ومركب ومتعدد مثلاً ، وإنما عرض من جهة حسنه والأسباب الموجبة لذلك الحسن والتي منها :

ـ إيضاح المعنى وبيان المراد :

وعليه اختار قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[٣]

والذي شبه فيه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب .. واليابس العتيق منها بالحشف[*] البالي [٤] ، وهذا ـ كما يقول ابن سنان ـ : " من التشبيه المقصود به إيضاح المعنى ؛ لأن مشاهدة العناب والحشف البالي أكثر من مشاهدة قلوب الطير رطبة ويابسة " . [٥]

هذا ولم أجد أحداً من السابقين عليه أو اللاحقين به قد أفصح عن

---

[١] سر الفصاحة : ٢٤٦ .

[٢] سر الفصاحة : ٢٤٨ ، والديوان ص ١٤٥ ، العناب : حب أحمر مائل للكدرة على قدر قلوب الطير . ينظر : مواهب الفتاح ٣ / ١٩٣ .

[٣] ..... .

[*] الحشف : أردأ التمر ، أو التمر الذي لا نوى له . ينظر : مواهب الفتاح ٣ / ١٩٣ .

[٤] المطول : ٥٥٢.

[٥] سر الفصاحة : ٢٤٨.

مضمون هذه الفكرة في هذا البيت بالذات قبل ابن سنان وإن كان أصلها موجوداً عند كلٍّ من الرماني "[١] وأبى هلال العسكري " [٢] وكل الذي ذكره في هذا أنه : ".. شبه شيئين بشيئين في بيت واحد وأحسن التشبيه " كما يقول ابن قتيبة "[٣] أو أنه قد جاء به في غاية الجودة كما يقول أبو هلال "[٤] ، وأنه : " أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم إليه الشعراء فلم ينازعه أحد إياه " كما يقول ابن رشيق[٥] ، وأن الفضيلة فيه ترجع ــ بالإضافة إلى الجمع بين تشبيهين في بيت ــ إلى اختصار اللفظ وحسن الترتيب كما يقول الإمام عبد القاهر[٦] وإلى دقة المماثلة وكونه أكد في الدلالة على المشابهة على نحو ما يفهم من قول ابن يعقوب.[٧]

وكما فطن ابن سنان لإبراز تلك النكتة ــ ههنا ــ فطن أيضاً ــ إلى موطن الحسن في بيت بشار الذي يقول : " ومازلت منذ سمعت بيت امرئ القيس هذا أطلب أن يقع لي تشبيهان في بيت واحد حتى قلت :

---

(١) الذي ذكر في حد التشبيه البليغ هو الذي يخرج فيه الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه . ينظر: النكت في إعجاز القرآن ص ٨١ .

(٢) الذي يرى بالإضافة إلى هذا أن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد منهم عنه .
ينظر : الصناعتين : ٢٦٥ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تح أحمد شاكر ١ / ١٣٤ ، ط دار المعارف .

(٤) الصناعين : ٢٧٣ .

(٥) العمده ١/ ٢٦٢.

(٦) ينظر : أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ، تح الشيخ شاكر ص: ١٩٤ ، ن : دار المدني ط أولى ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

(٧) ينظر : مواهب الفتاح ٣ / ١٩٣ .

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

فشبهت النقع بالليل والسيوف بالكواكب[١] ، والتفرقة بينه وبينه .

يقول ابن سنان : " وهذا تشبيه للمبالغة والتفخيم " . [٢]

ولقد غفل عن هذا أبو هلال العسكري فظن أنه ــ أي بيت بشار من التشبيه الذي قصد به إيضاح المعنى وبيان المقصود ، وفضل عليه بيت امرئ القيس لما فيه من دقة المماثلة فقال : " ... وبيت امرئ القيس أجود ، لأن قلوب الطير رطباً ويابساً أشبه بالعناب والحشف من السيوف بالكواكب ".[٣]

ولو تنبه أبو هلال لما ذكر الإمام وما يتفق وما قال ابن سنان لما حكم بجودة أيهما على الآخر بل هما فيها على حد سواء ، ذلك أن بشار لم يرد أن يشبه : "ظلمة الليل بمثار النقع والسيوف بالكواكب " ، كما قال أبو هلال [٤] ، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة فحسب بل يريد كما يقول الإمام أن يعبر " ... عن هيئة السيوف وقد سلت من الأغماد وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب ... وكان لهذه الزيادة التي زادها ــ وهي قوله تهاوى ــ حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل .. وذلك أن تعلم أن لها ــ أي للسيوف ــ في حال احتدام الحرب ، واختلاف الأيدي بها في الضرب ، اضطرابا شديداً وحركات بسرعة ، ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوالاً تنقسم بين الاعوجاج

---

[١] سر الفصاحة : ٢٤٨ ، وينظر : ديوان بشار بن برد ، شرح : مهدي محمد ناصر ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

[٢] سر الفصاحة : ٢٤٨ .

[٣] الصناعتين ٢٧٢.

[٤] السابق .

والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويقع بعضها على بعض ويصدم بعضها بعضاً ثم إن أشكال السيوف مستطيلة ، فقد نظم هذه الدقائق كلها في نفسه ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ونبه عليها وأحسن التنبيه وأكمله بكلمه وهي قوله : " تهاوى ؛ لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها في تهاويها تواقع وتداخل ، ثم إنها بالتهاوي تستطيل أشكالها . فأما إذا لم تزل عن أماكنها فهي في صورة الاستدارة . [١]

وبناء عليه أفلا يكون بعدما قال الإمام ما قال في بيت بشار من الدقة في المماثلة بعد هذه الدقة ؟ الجواب بالطبع لا ، وبناء عليه فلإن دق التمثيل في بيت امرئ القيس ففي بيت بشار مثله ، ولئن تأكد التشبيه في بيت امرئ القيس بذلك الوصف وهو : " البالي " [٢] فقد تأكد بذلك الوصف وهو قوله : " تهاوى في بيت بشار مثله .

إن الذي أوقع أبا هلال فيما وقع فيه هو فض التركيب في بيت بشار وجعله من قبيل المتعدد ، وكأنه قد ارتأى أن هذه السيوف وإن كانت مثل الكواكب إلا أنها ليست في الشكل ولا في اللون بل ولا في القدر ــ أيضاً ــ مثل العناب ؛ الذي شبه به الرطب الطري من القلوب في ذلك ، وكذا الأمر في الحشف البالي الذي ثشبه به اليابس منها [٣] ، وغاب عنه أن بشار لم يرد هذا ، وإنما أراد أن يرينا الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة

---

[١] أسرار البلاغة : ١٧٧ .

[٢] يقول ابن يعقوب : " ... ووصفه بالبالى تأكيداً لهيئة التشبيه ؛ فإنه أشبه بالقلب اليابس في شكله ولونه وتكاميشه من الجديد " ، مواهب الفتاح ٣ / ١٩٣ .

[٣] ينظر : مواهب الفتاح ٣/ ١٩٣.

في جوانب شيء مظلم [١] ، وذلك لن يتحقق إلا أن يكون التشبيه مركباً وموضوعاً " ... على أن يريك الهيئة التي ترى عليها النقع المظلم والسيوف في أثنائه تُبرق وتومض وتعلو وتنخفض وترى لها حركات من جهات مختلفة كما يوجبه الحال حين يحمي الجلاد وترتكض بفرسانها الجياد " . [٢]

ما يستحسن لإرادة الإيجاز :

ومبنى ذلك عنده على ما جاء منه بغير أداة .

يقول ابن سنان : " فأما التشبيه بغير حرف فكقول امرئ القيس:

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال[٣]

فأراد كسمو حباب الماء[٤] " ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز "[٥] وحذف الأداة ههنا يوحي بأن الطرفين قد تقارنا بلا حائل وتعانقا بلا واسطة حتى صار المشبه هو عين المشبه به . [٦]

وهذا بدوره يفسح أمام العقل ميدان التوهم فيتوهم أن المشبه والمشبه به شيئ واحداً [٧] ، فإذا ما أضيف إلى ذلك حذف الوجه ــ كما في البيت ــ فإن ميدان التخيل يتسع أمام العقل والمبالغة تتضاعف ؛ ذلك أن حذف الأداة يفيد أن

---

[١] ينظر : بعية الإيضاح ٣/ ٤٠٢ .

[٢] أسرار البلاغة ١٩٤ .

[٣] سر الفصاحة : ٢٥١ .

[٤] ينظر العمدة : ١ / ٢٩٤ .

[٥] سر الفصاحة : ٢٤٦ .

[٦] البيان في ضوء أساليب القرآن د / عبد الفتاح لاشين ص ٣٩ ، دار المعارف ط أولى ١٩٧٧م .

[٧] دراسات بلاغية د / بسيوني فيود٩٠ ، ن : مؤسسة المختار ط الثانية ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م .

المشبه قد صار عين المشبه به ادعاء وحذف الوجه يجعل النفس تذهب في تقديره كل مذهب. [١]

صحة الأوصاف :

يقول ابن سنان : " ومن الصحة صحة الأوصاف في الأغراض "[٢] من مدح وفخر وهجاء ووصف ... إلخ " . [٣]

ولكي يكون الشاعر مصيباً في هذا فإنه لا يقف عند حد ما يتسم به الغرض من وصف بل إنه ليتجاوز هذا إلى اختيار الصفات المثلى إذا وصف أو مدح لا يبالي في ذلك بالواقع . [٤]

وبناء عليه فإذا وصف فرساً وجب أن يكون الفرس كريماً ، وإذا تغزل ذكر من الأوصاف التي تدل على فرط الصبابة والتهالك في الوجد . [٥]

فإن قيل : لم يسلك الشاعر ذلك المسلك ؟ وما صلة ذلك بالدرس البلاغي؟ قيل : إن الشاعر عندما يصف دابته فإنه يصفها وصف المحب لها المعجب بها الفخور بمزاياها . وإذا أحب صور أحسن ما رآه وما أحبه [٦] ... ، وعلى هذا تبدو صلة ذلك بالدرس البلاغي وهي : " الملاءمة بين الموضوع أو الغرض والشعور الذي صدر عنه " . [٧]

---

[١] دراسات بلاغية د / بسيوني فيود ٩٠.

[٢] سر الفصاحة : ٢٥٦ .

[٣] ينظر السابق .

[٤] ينظر : النقد الأدبي الحديث د / محمد غنيمي هلال ، ص١٦٤ ن : نهضة مصر .

[٥] ينظر المرجع السابق .

[٦] نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي ٣٠٤ .

[٧] انظر نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي ٣٠٤ .

وفي ضوء هذين الغرضين دار نقد ابن سنان لما جاء منهما في شعر امرئ القيس : ــ ومن ثم فهو يعيب ــ مع من عاب عليه قوله في وصف الفرس:

واركب في الروع خيفانه كسا وجها سعف منتشر[١]

يقول ابن سنان : " كثرة شعر الناصية مذموم في الفرس وذلك هو الغمم"[٢] كما يعيب عليه ــ أيضاً ــ قوله :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

يقول : " المحمود من ذنب الفرس أن يكون طويلاً ولا ينال الأرض ".[٣]

فامرؤ القيس في هذا وسابقه يريد أن يصف فرسه بوصفين :

الأول : كثرة شعر الناصية وذلك مذموم في الخيل ، والذي يحمد في نواصيها أن يكون شعرها غير مفرط في الكثرة أو القلة [٤] ، وبناء عليه " فامرؤ القيس مخطئ في نظر هؤلاء النقاد وإن كان مصيباً في الواقع " . [٥]

الثاني : وصف ذنب ذلك الفرس بذلك الطول وقد أفرط فيه حتى جعله مثل ذيل العروس ، والذي يحمد في هذا أن يكون طويلاً غير أنه لا يصل إلى الأرض ، والعجيب في الأمر ان ابن سنان يستشهد على المحمود منه بقول امرئ القيس

---

[١] سر الفصاحة : ٢٦٣ ، وينظر : الديوان ص : ١١٢ .

[٢] الغمم هو : " أن يسيل الشعر حتى يضيف الوجه والقفا " . اللسان مادة غ م م ٣٣٠٣ ، الصناعتين : ٩٠٩ .

[٣] سر الفصاحة : ٢٥٧ ، وينظر الديوان : ١١٢ .

[٤] ينظر : الموازنة ١ / ٣٧ ، ٣٨ .

[٥] النقد الأدبي الحديث : ١٦٤ .

نفسه :

كميت إذا استدبرته سد فرجه بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل[١]

وإلى جانب ما أخذ النقاد على امرئ القيس من عدم الدقة في إطلاق لفظ السعف على الشعر المتكاثف فإنك تجد هناك تناقضا في المعنى ؛ إذ كيف يطلق على تلك الفرس بأنها خيفانة لخفتها في صدر بيته ثم يعود فيذكر ــ بناء على ما ذكر النقاد ــ في عجزه[٢] ما يدل على ثقل حركته ؛ ولو أن امرأ القيس قال : "كسا وجهها شعر منتشر " ، لما كان عليه في ذلك مأخذ بل ربما كان المأخذ أخف عليه من سابقه .

أما ما يعضد ما قالوه في ثاني البيتين فإن العروس تجر ذيلها إما حياء وإما اختيالا [٣] وفرس امرئ القيس ههنا ــ ليست كذلك ــ وكذلك أيضاً أي فرس فهي لا تجره إلا تبلداً أو كساحا ، وعليه فإن الطول الذي أراد وصف ذنب فرسه به وإن كان متحققاً في كلا الطرفين إلا أنه لا يستحضر في المشبه به عند استحضار صورة المشبه ولا يتبادر إلى الذهن لكونه ليس هو المراد أولاً ، وعليه فهو وإن كان مصيباً من وجه فهو معيب من وجه آخر .

ومما عابه ــ مع من عابوا ــ عليه في مقام الغزل قوله :

---

[١] سر الفصاحة : ٢٥٨ ، وينظر الديوان ٥٦ .

[٢] وذلك فيما ذكره الآمدي ومن بعد أبو هلال العسكري عن الأصمعي في عينه " ... وقال ــ أي الأصمعي ــ أشبه شعر الناصية سعف النخلة والشعر إذا غطى عين الفرس لم يكن الفرس كريماً " ، و" هذا عيب في الخيل " كما يقول الجرجاني .
راجع في ذلك الموازنة ٣٧/١ ، الصناعتين : ١٠٩ ، الوساطة ص : ١٠ .

[٣] العمدة ٢ / ٥٦ .

أغــرك منـــي أن حبـــك قـــاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل[١]

يقول ابن سنان : " ... إذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر[٢] ؟ وهو منسوب في الموازنة للأصمعي[٣] ، وحكاه المرذباني عن ابن المعتز بلفظه في الموشح [٤] .. وكأني بهؤلاء النقاد ــ ومن ضمنهم ابن سنان ــ قد فهموا من الاستفهام ههنا ــ معنى الإنكار ، وحملوا عليه قول امرئ القيس السالف الذكر ، والذي لا يقــف عند كون حبها قائلا له ، بل إنه ليتجاوزه إلى أمر أكبر من هذا هو كون غــرور حبها كذلك ، وكأنه يريد أن يقول لها : " أتوهمت وحسبت أن حبك يقتلني أو إنك مهما أمرت بشيء فعله ، ليس الأمر مثل ما خيل إليك فإني مالك زمام قلبي " . [٥]

بل وأكبر من هذا ما ذكره أسامة بن منقذ حيث قال : " ... وهــذا اللفــظ جافٍ لأنه توعد للمحبوب والمحب لا يتوعد حبيبه " . [٦]

وهذا الوجه ــ أي الإنكار كما يقول الزوزنـــي ــ هــو أرزل الأقــوال[٧] لسببين:

---

[١] ينظر : سر الفصاحة : ٢٦٢ ، الديوان : ٣٧ .

[٢] سر الفصاحة : ٢٦٢ .

[٣] يقول الآمدي : " وقد أخذ عليه أي الأصمعي ــ قوله : " أغرك مني ... البيت " وقال : إذا لم يغر هذا فأي شيء يغر " الموازنة : ١ / ٣٩ .

[٤] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، تح / محمد حسين شمس الدين ص:٤٦ ، ٤٩ دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

[٥] شرح المعلقات السبع للزوزني ، ص١٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

[٦] البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ تح : عبد الأعلى ، ص٢٤٠.

[٧] شرح المعلقات السبع ص : ١٣ .

الأول : كما هو عنده أن مثل هـذا الكـلام لا يستحسـن فـي النسـيب بالحبيب.[١]

الثاني : أن الذي يطلب منها أن تتمهل في التدلل وأن تتجمل في الهجر إن كانت قد وطئت نفسها عليه ــ كما هو مفاد من قوله قبل :

أفاطم مهلاً بعـض هـذا التـدلل وإن كنت قد ازمعت صرمي فـاجملي[٢]

لا ينكر عليها كون حبها كذلك ولا يتوعدها بما يتوعدها به .

وكذلك ــ أيضاً ــ الذي يطلب منها أن تسلَّ قلبه من قلبها إن كانـت قـد ساءتها منه خليقة كما هو مفاد قوله :

وإن كنت قد ساءتك مني خليقـة فسُلِّي ثيابي من ثيابك تنسـل[٣]

لا ينكر عليها ــ أيضا ــ ولا يتوعد .

ومما يؤيد هذا قوله : " فسلي ثيابي من ثيابك " ، ولم يقل : " فسلي ثيابك من ثيابي " ، مما يدل على أن حبها قد استولى على قلبه واستغرقه وعم جملتـه حتى لم يبق منه لغيره شيء ... " وعليه فالوجه الأمثل ــ ههنا ــ كمـا يقـول الزوزني [٤] ــ يحمل الاستفهام ــ ههنا ــ على معنى التقرير ، ويكون التقريـر فيه[٥] بمعنى التحقيق والتثبيت ، ويكون المعنى : " قد غرك مني كون حبك قاتلي

---

[١] ينظر : السابق .

[٢] الديوان ص : ٣٧ .

[٣] ينظر : السابق .

[٤] شرح المعلقات السبع للزوزني ص : ١٣ .

[٥] ينظر : الكتاب لسيبويه .

وكون قلبي منقاداً لك بحيث مهما أمرت بشيء فعله " .[١]

الاحتراس :

وهو عند الخطيب : " ... أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه "[٢] ، وتبعه في ذلك شراح التلخيص .[٣]

وقد أطلق ابن سنان على هذا الفن اسم التحرز فقال : " ... وأما التحرز مما يوجب الطعن فأن يؤتى بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي مما يتحرز به من ذلك الطعن " .[٤]

ويستشهد على ذلك ــ ضمن ما استشهد ــ بقول ابن المعتز في صفة الخيل :

صببنا عليها ظالمين ــ سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

يقول : " ... لو لم يقل ــ ظالمين ــ لكان للمعترض عليه أن يقول: إنما ضربت هذه الخيل لبطئها .. فقال عبد الله ظالمين تحرزاً من هذا الطعن".[٥]

ويعيب ــ مع من عاب ــ على امرئ القيس قوله في هذا المقام أيضاً:

فللرجز ألهوب وللساق دِرةٌ وللسوط منه وقع أخرج مهذب[*]

---

[١] الزوزني ص : ١٣ .

[٢] الإيضاح متن البغية : ٣٥٥ .

[٣] ينظر : المطول : ٤٩٨ ، عروس الأفراح ٨٧/١ ، مواهب الفتاح ٦٧٠/١ حاشية الدسوقي ٧٥٨/٢ .

[٤] سر الفصاحة : ٢٧٣ .

[٥] سر الفصاحة : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، وينظر : ديوان ابن المعتز ٣٦٤ دار صادر بيروت .

[*] ورواية الديوان :

فللساق ألهوب وللسوط درة وللزجر منه وقع أخرج متعب

ويذكر ما قيل في هذا العيب فيقول : " ... إذا أحوج إلى هذا كله فليس بسريع " . [١]

وهو مضمون ما أخذه عليه الأصمعي وذكره عنه الآمدي " .. وقال هذه الفرس بطيئة ؛ لأنها تحوج إلى الصوت ، وإلى أن تركض بالرجل وتزجر[٢] ، ويضيف أبو هلال " ... لو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك "[٣] ، وقريب منه قول أسامة بن منقذ : " .. هذا غلط في صفته ؛ لأنه لو كان حمارًا لكان رديًا في صنعته فكيف يصف ذلك وهو هجنة فيه " ؟[٤]

من هذا وسابقه يتبين أن كلا الشاعرين يريد أن يصف فرسه بأنه سريع، بل إنه قد بلغ الغاية في السرعة من وجهة نظره . غير أن كلَّ واحد منهما قد ذكر في قوله ما يدل على أنه بطيء .

أما في قول امرئ القيس فظاهر ، وأما في قول ابن المعتز فإن قوله : "صببنا " مستعار لقوله : " ضربنا " ، والضرب غالباً ما يكون من تثاقل في السير فدفعه بقوله " ظالمين " وأصاب [٥] ، ولم يحترز امرؤ القيس فاخفق . تلك هي نظره البلاغين والنقاد ، ولولا أن عبد الله بن المعتز قال : " ظالمين " ، لقلت إن قوله ــ معيب ــ بل هو أشد عيباً من قول امرئ القيس الذي عابه من عابه ؛ ذلك أنه لو اكتفى . بقوله : " صببنا عليها ــ ظالمين ــ سياطنا " وكفى لقلت أن

ينظر : الديوان ص ٦٩

[١] سر الفصاحة : ٢٧٥ ، وينظر الديوان : ٦٩ .

[٢] الموازنة ١ / ٣٩ .

[٣] الصناعتين ٨٦.

[٤] البديع في نقد الشعر ص ٢٠٧.

[٥] بغية الإيضاح ٣٥٥ .

قوله في غاية الجودة ، ولو قال ــ بالإضافة إلى هذا ــ "فطارت لها" بدل من "فطارت بها " لقلت إنها ــ أيضاً ــ في غاية الجودة ، لأنها ــ في الأصل ــ تطير سرعة ــ من دون ضربه لها ظلماً ، وصب ذلك عليها ، لكن كونه يقول فطارت بها مما يدل على أن تلك السياط وإن توالت عليها ظلماً إلا أنها سبب أو آلة يستعان بها على ذلك الجري السريع .

وبناء على هذا فهو وإن قال " ظالمين " فإن قوله ــ أيضاً ــ لا يخلو من قدح .

أما قول امرئ القيس فهو " إن قيل ما قيل في عيبه إلا أنه لا يخلو من حسن ، بل هو في غاية الحسن ، وماذا تنتظر من فرس هذا حاله ؟ إذا زجر بالصوت ألهب الجري وأتى بجري شديد كالتهاب النار ، وإذا حُثَ بالساق در به ، وإذا ضرب بالصوت صار من شده جريه كأنه مجنون قد فقد عقله من شدة جريه[١]...؟! .

وإذا كان ابن رشيق قد أطلق على هذا الفن اسم التميم ، وذلك بناء على أن الشاعر لا يذكر معنى يتم به حسنه إلا أتى به إما مبالغة أو احتياطاً من التقصير [٢] فإن امرأ القيس قد ذكر في كل واحدة منها مما يجعل فرسه في غاية السرعة . فما بالنا إن اجتمعت ثلاثتها في فرس واحد ، إنه لا يكفى أن يقال قد بلغ الغاية في الجري ، بل هو في مثل هذا المقام أسطورة في عالم الخيل.

---

[١] ينظر هامش تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / عبد العزيز عتيق ص٢٣ ، دار النهضة العربية ــ بيروت ، الموشح ص٤٠ .

[٢] ينظر : العمدة : ٢ / ٥٠ .

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعـــالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن . وبعد ...

فقد عرض البحث لنقد ابن سنان الخفاجي لامرئ القيس في ضوء أسرار الفصاحة وتبين له من خلال ذلك العرض ما يلي :ــ

أولا : أن ابن سنان الخفاجي وإن صب جل نقده في بوتقة النقد الموضـــعي فـــي صفحات كتابه إلا أنه لا يهمل النقد الموضوعي خاصة فيما عرض له من نقد امرئ القيس ، فقـــد كثر عنده حتى بلغ ستة من اثنى عشر موضـــعا هي :ــ

الحشو ، الإيجاز ، الكناية ، التشبيه ، صحة الوصف ، الاحتراس .

وذلك فيما احسب لما سبق إليه من جانب ، ولغلبة ما أجاد فيه من جانـــب آخر .

أحسن ابن سنان الخفاجي في كل ما أورد من النقد الموضوعي سواء فـــي ذلك مواطـــن الاستحسان أو الاســـتقباح اللهـــم إلا فـــي بـــابي الحشـــو والاحتراس .

أمـــا الأول : فلإن أصاب في موطن ففي جزء آخر منه قد جانبه الصواب

وأما الثاني : فلقد كانت للبحث رؤية مغايرة لما أجمع عليـــه البلاغيـــون والنقاد .

ثانيا : أن ابن سنان الخفاجي لم يراع حال الشاعر ومدى مطابقة كلامه لمقتضـــى تلك الحال ، وبناء عليه فقد استحسن البحث بالإضافة إلي جانب الســـياق والدلالة، ما استقبحه ابن سنان من الغريب الوحشي ، والتكرير القبيح ، .

ثالثا : أثبت البحث أن ما سكن فيه الإعراب لأجل الضرورة من قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب ... البيت " ، أنه من العربي الفصيح وإن خالف القياس .

أفصح عن سبب حسنه وجهة فصاحته ، وأنه لا يقل جودة عما روى "فاليوم فاشرب" أو " فاليوم أسقي " كما ذهب إلي ذلك بعض اللغويين والنحاة ، كما أثبت ــ أيضا ــ أنه قد بلغ الغاية في الحسن ــ بناء على التوافق النفسي ، وليس من المتوسط بين الحسن والقبيح كما تبنئ به عبارة ابن سنان .

رابعا : وافق البحث بناءً على دلالة السياق ــ ما ردَّ به ابن سنان الخفاجي قول بعض أهل العلم مجيئ الحشو في قول امرئ القيس : .... ورضت فذلت صعبه أي اذلال . لإرادة الوزن لا غير .

ــ وافق ــ أيضا ــ مجيئه لآجل الوزن في قول الأعشى ، واثبت أنه مفسد للمعنى .

ــ خالف فيما علل به مجيئه لذلك من بعد المناسبة بينه وبين بيت امرئ القيس . واثبت العكس بناء على اتحادهما في الغرض .

ــ ناقش البحث في هذا الباب ــ أيضا ــ انقضاء الكلام قبل القافية ، وانتهى إلي أنه وإن تحقق في قول الخنساء ، إلا أنه لا ينطبق تمام الانطباق على ما جاء منه في قول امرئ القيس .

خامسا : أيد البحث ــ بناء على دلالة الألفاظ في التركيب ــ تفضيل ابن سنان قول امرئ القيس على قول الوليد بن يزيد في الإيجاز المحمود.

سادسا : كشف البحث عما ناقض فيه ابن سنان الخفاجي نفسه في ثلاثة مواضع :

ــ فيما استقبحه من التكرير في قوله : الا إنني بال على جمال بال .. البيت ، واستحسنه من التصريع في نفس البيت المذكور .

ـ فيما كان منه بين القاعدة والنص في باب الاستعارة ، وأثبت أنها في غاية القوة والجودة والحسن لملاءمة معناها لمعنى ما استعيرت له كما قال بذلك الآمدي ومن نحا نحوه وليست من المتوسط بين الجيد والردئ كما يقول ابن سنان .

ـ فيما كان منه وسابقوه في صحة الوصف .:ـ

فبينما يستقبحون منه قوله : " لها ذنب مثل ذيل العروس . " البيت " بعودون فيستحسنون منه قوله : " كميت إذا استدبرته بين فرجه " البيت ليس ذلك فحسب بل كشف أيضاً عما وقع فيه امرؤ القيس نفسه بالإضافة إلي هذا من التناقض في المعنى بين صدر بيته في قوله : وأركب في الروع خيفانة " ، وعجزه في قوله : " كسا وجهها سعف منتشر " .

سابعا : أفصح البحث عن مضمون ما استحسن من قول امرئ القيس في باب الكناية الحسنة والأرداف ونبه إلي ما كان ينبغي عليه في كل منهما والتمس له مخرجا فيما قصر فيه في الأول منهما من وجهين " أما الثاني فقد كشف عن قصور قوله فيما ركز عليه من إبراز العلة وإظهار السبب ، وجهة تأثيره فيما استشهد به من ثاني البيتين .

ثامنا : أفصح البحث عن مضمون ما استحسن ـ على سبيل الإجمال من تصريع امرئ القيس ، ورد ما عابه ابن الأثير من التصريع في قوله :

ألا أيها الليل الطويل الآنجلي بصبح ... البيت ، وعده من التصريع الجيد في قوله سابقا :

قفانيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى .. البيت ، وليس من التصريع المعيب .

تاسعا : أماط اللثام عما استجاد من الترصيع وكشف النقاب عما يستقبح منه بسبب التكرير .

عاشرا: لفت البحث إلي ما انفرد به ابن سنان من الإبانة عن وجهي المفارقة في الغرض من التشبيه ، كما لفت ــ أيضا ــ إلي ما لم يتنبه له أبو هلال في هذا المقام ــ أيضا ــ فوقع فيما وقع فيه .

حادي عشر : استحسن البحث ــ بناء على دلالة الألفاظ في التركيب ما استقبحه النقاد ومن جملتهم ابن سنان في باب الاحتراس قول امرئ القيس :

فللسوط ألهوب .. البيت ، وأشار إلي أن ما استحسنوه من قول ابن المعتز : " صببنا عليها ــ ظالمين ــ سياطنا . البيت لا يخلو من قدح.

التوصيات :

١ــ يوصى البحث بدراسة مستقلة تكشف عن رؤية كل ناقد تجاه كل شاعر وما يترتب على ذلك من الإبانة عما انفرد به وما أخذ اللاحق من سابقه وما أضاف إليه .

٢ــ وهو مضموم إلي سابقه ويتمثل في الكشف عن المعنى الواحد الذي يرد في شعر الشاعر أو يتكرر في شعره أو في شعر غيره وما يترتب على ذلك من الإبانة عن حجتى الإساءة والإحسان في ضوء ما ورد فيه من نظم .

والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ،

وهو حسبي ونعم الوكيل .

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة للزمخشري ، ن : دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢. أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، تح / الشيخ محمود شاكر ، دار المدني . ط : أولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٣. أسس النقد الأدبي عند العرب ، د/ أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٤. الأطول للعصام ، تح د/ عبدالحميد هنداوي ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

٥. الإيضاح للخطيب القزويني متن البغية للشيخ عبدالمتعال الصعيدي ن : مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط : أولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

٦. البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ، تح / عبدا على مهنا ، ن: دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٧. البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، ن : دار صادر بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م .

٨. بغية الإيضاح للشيخ عبدالمتعال الصعيدي ، ن : مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط : أولى ١٤٣٠هـ ـ ـ ٢٠٠٩م .

٩. البلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقي ضيف ، ط : دار المعارف ، الطبعة التاسعة .

١٠. البيان في ضوء أساليب القرآن ، د/ عبدالفتاح لاشين ، ط : دار

المعارف ، ط : أولى ١٩٧٧م .

١١. البيان والتبيين للجاحظ ، ن : مكتبة الخانجي بمصر ، ط " رابعة.

١٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د/ عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للنشر .

١٣. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تح السيد أحمد صقر ، ن : دار التراث ، ط : ثانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

١٤. تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري ، تح د/ حفني شرف ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٥. تراثنا في النقد بين الأصالة والتأثر ، د/ عبدالحميد هلال ، م ط : الأمانة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٦. التصوير البياني أ.د/ محمد أبو موسى ، الناشر مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

١٧. حاشية الدسوقي على التلخيص ، تح د/ خليل إبراهيم ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٨. خزانة الأدب للبغدادي ، تح / عبدالسلام هارون ، ن : مكتبة الخانجي بالقاهرة .

١٩. خصائص التراكيب أ .د/ محمد أبو موسى ، ن : مكتبة وهبة ، ط : ثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٢٠. دراسات بلاغية د/ بسيوني فيود ، مؤسسة المختار للطبع والنشر ط : ثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

٢١. دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر ، تح / الشيخ محمود شـــاكر ، ن : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط : ثانية ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٨٩م .

٢٢. ديوان ابن المعتز ، ن : دار صادر بيروت .

٢٣. ديوان أبي تمام ، تح / محمد عبده عزام ، دار المعارف .

٢٤. ديوان بشار بن برد ، شرح مهدي محمد ناصـــر ، ن : دار الكتـــب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٣م .

٢٥. ديوان الخنساء شرح ثعلب ، تح د/ أنور سويلم ، ن : دار عمـــار، ط: أولى ١٤٠٩هـــ ـــ ١٩٨٨م .

٢٦. ديوان ذي الرمة بشرح الإمام أحمد البـــاهلي تـــح / عبدالقـــدوس أبو صالح ، م ط : طربين بدمشق ١٣٩٢هـــ ـــ ١٩٧٢م .

٢٧. ديوان الشريف الرضي دار صادر بيروت .

٢٨. ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي ، تح / حسان فلاح ، دار صادر بيروت ، ط أولى ١٩٩٧م .

٢٩. ديوان الوليد بن يزيد ، تح /واضح الحمد ، دار صادر بيـــروت ط: أولى ١٩٩٨م .

٣٠. ربيع الأبرار للزمخشري من دون .

٣١. سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م .

٣٢. شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري ، تح / عبدالستار أحمـــد

فراج ، م ط : المدني بالقاهرة .

٣٣. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تح / أحمد أمين عبدالسلام هارون ن : دار الجيل بيروت .

٣٤. شرح ديوان المتنبي عبدالرحمن البرقوقي ، ن : دار الكتاب العربي بيروت .

٣٥. شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٣٦. الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء أ.د/ محمد أبو موسى ، ن : مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٣٧. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تح / أحمد شاكر ط : دار المعارف.

٣٨. الطراز للعلوي ، دار الكتب العلمية بيروت .

٣٩. عروس الأفراح بهاء الدين السبكي ، تح د/ خليل إبراهيم ن : دار الكتب العلمية بيروت .

٤٠. علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعالني ، د/ بسيوني فيود ، ن : مؤسسة دار المختار للطبع والنشر .؟

٤١. العمدة لابن رشيق القيرواني ، تح / محي الدين عبدالحميد ، ن : الجيل ، ط : رابعة ١٩٧٢م .

٤٢. القاموس المحيط للفيروز أبادي ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ،

ط : أولى ١٤١٥هـ ـ ٩٩٩م .

٤٣. الكتاب لسيبويه ، تح / عبدالسلام هارون ، ن " دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٤٤. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تح / مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٩÷ ـ ١٩٨٩م .

٤٥. الكشاف للزمخشري ، ت؛ / مصطفى حسين أحمد ، ط : الاستقامة بالقاهرة ، ط : ثانية ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م .

٤٦. الكناية والتعريض لأبي منصور الثعالبي ، تح د/ عائشة حسن فريد دار قباء للطبع والنشر .

٤٧. لسان العرب لابن منظور ، تح / الأساتذة : عبدالله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، ط : دار المعارف .

٤٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تح د/ أحمد الحوفي ، ، د/ بدوي طبانه ، ن : دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٤٩. المحتسب لابن جني ، تح / علي النجدي ناصف ، د/ عبدالحليم النجار ، د / عبدالفتاح شلبي ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٥٠. المطول على التلخيص ، سعد الدين التفتازاني ، تح د/ عبدالحميد هنداوي ، ن : دار الكتب العلمية بيروت .

٥١. معاني القرآن للأخفش ، تح / عبدالأحد محمد أمين ، ن : عالم الكتب ، ط : أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٥٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تح / عبدالجليل عبده شلبي ط :

أولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٥٣. مفتاح العلوم للسكاكي ، تح / نعيم زرزدر ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٥٤. الموزانة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، تح / سيد أحمد صقر ط: دار المعارف ، ن : مكتبة الخانجي بمصر .

٥٥. مواهب الفتاح ابن يعقوب المغربي ، تح د/ خليل إبراهيم ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٥٦. الموشح للمرزباني ، تح / محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٥٧. النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر .

٥٨. نقد الشعر قدامة بن جعفر ، تح د/ محمد عبدالمنعم خفاجي ، ن : مكتبة الكليات الأزهرية ، ط : أولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٥٩. نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي د/ عبدالسلام عبدالحفيظ ، ن: دار الفكر العربي .

٦٠. النقد المنهجي عند العرب ، د/ محمد مندور ، نهضة مصر للطبع والنشر .

٦١. النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ، تح / محمد أحمد خلف الله ، د/ زغلول سلام ، ط : دار المعارف ، ط : رابعة .

٦٢. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، تح / محمد عبدالقادر أحمد ،

ن : دار الشروق .

٦٣. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، نح / محمد أبوالفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .